كِتابَ الأسوس

عَن لِسانِ

المولى عَلِيٍّ الرِضا

علينا من ذكره السلام والرحمة

بِسمِ اللَّه الرَحمَن الرَحيم

الحَمدُ للَّه الدَّالِ على نَفسهِ بِنَفسهِ، ولا يَدِلُّ عليه إلا مَن هوَ مِنهُ، القَديم الأزَل، الغايَة الذي لا يُدرَكُ باطِنُهُ، ولا يَدري أحَّدٌ كيفَ هوَ إلا هوَ، الذي ظَهَرَ بحجُبِهِ الذاتيَّة لِبَريتهِ وجَعَلَهُمْ المعاني، وأيَّدَهُمْ بحجَّتِهِ وجَعَلَهُمْ أئمتَه، وفوَّضَ إليهم ما شاء

[1]

واصطفاهُمْ وجَعَلَهُمْ السُفَراءَ فيما بينَهُ وبينَ عِبادِهِ (   ) باطِنُهُ غيبٌ لا يُدرَك، وظاهِرُهُ بيوتُهُ وحجُبُه، ومعانيه هُمُ الدَّالون عليهِ

والدَّاعونَ إليه (عَليهِمْ صلواتُه وأتمُّ سلامه).

وبَعد: اعلم أنَّ هذا الكتاب لا يُستَدرَكُ عِلمُهُ إلا بالأسماءِ المتواطِئاتِ، والأسماء المُتَشابِهات، والأسماء العامَّات، والأسماء الخاصَّات، والأسماء المُتَضادَّات، والأسماء المُتَشاكِلات، وما نَتيجَتُها، وما اشتِقاقُها في حيث وأين وكيف، [2]

وما أصولُ هَذهِ الأسماء وبِأيِّ شيءٍ وبِماذا تُعرَف ( ) إذْ لا تُعرَفُ أصولُ هَذهِ الأسماء حتَّى تُعرَفَ بأربَعَةِ أشياء في أصلِ النتَائِج وهوَ أن يَعرِف الرَجُلُ ما فيه وما ليسَ عَليه وما هوَ لَهُ، ويَعرِف ما عَليهِ ولَهُ وليسَ فيهِ، ويَعرِف ما لَهُ وليسَ عَليهِ ولا فيهِ، ويَعرِف ما يَنتُج مِنَ الكَلام وأجزائِهِ، فإذا عَرَفتَ تِلكَ النتائِج التي تنتج النظائِر في أجزاءِ الهيولى وخَصائِصَها.

قالَ بَعضُ مَن حَضَر: سألتُ الرِضا (علينا سلامه) عَنِ الهيولى؟.

فقال: أصولُ الأشياءِ كُلَّها يُقالُ لها الهيولى.

وقالَ: الهيولى هو الأصل الذي يحتاجُ إليهِ وهي لفظَةَ مَعنى ذَلِكَ بالفارِسيَّة في اللسان الأوَّل إلى أن استخرج إلى العربية فصارَ هَذا لفظَهُ.

بسم اللَّه الرَحمَن الرَحيم

هذا كتابُ مَعرِفَةُ حِكمَةُ سُليمان بن داؤد (عليهِ السَلام) وهوَ الذي يُسَمَّى كتابَ الأسوس لأنَّ أساسَ كلِّ شيء بِمَعرِفَة هذا الكتاب.

وهَبَ اللَّه لَهُ مُلكاً لا يَنبَغي لأحَّدٍ مِن بَعدهِ وعَرَّفَهُ سائِر اللغات كلها مِنَ الأنسِ والجن والطير والوحش وغيرُ ذَلِك وسَخَّرَ لَهُ الريح والبهائِم والسِباع وهوامُ الأرض الظاهِرَة مِنها والباطِنَة

ودوابُ البَحر والجن والإنس فهم يوزعون.

ثُمَّ أوحى اللَّه إليه أن يُصَنِّف كتابَ حكمةٍ يُسَمِّيهِ كتاب الأسُس لأنَّ أساسَ الحِكمَة فيه والمعاني كلها.

ثُمَّ إنَّ سُليمان فَكَّرَ في ذَلِك وقدَّر وقال إنَّ اللَّه (جلَّ ثناؤهُ وتَقَدَّسَت أسماؤهُ وتَمَّت إرادتهُ وبُنيت قدرتُهُ) قَد ألهَمَنا أمراً ووهَبَ مصلحةً لعباده قَد أوجَبَ اللَّه ذَلِكَ عَليَّ.

وأن أسألَ اللَّه القويَّ القادِرَ الذي مَنَّ عَليَّ بِهَذهِ المواهِب الحَسَنَة الفاضِلَة الصالِحَة التي لَمْ يَهِبها لأحَّدٍ غيري.

فقالَ سُليمان بن داوُد (عليهِ السَلام) أسألُ اللَّه الذي فَضَّلني بَهَذهِ الموهِبَة أن يَمِنَّ عليَّ بِذكاءِ القَلبِ مَع ذَكاءِ العقل والعلم.

فَإنَّ أوجَبَ الأشياءِ وأعظَمَها مِعرِفَةُ اللَّه التي لا عِوضاً عَنها، وكونُهُ وقِدَمُه وأزَليَتُه وغايَتُه التي لا بُدَّ لِكُلِّ روحاني مِن مَعرِفَتِهِ مع مَعرفَة قُدرَتِهِ وذاتِهِ ثُمَّ مَعرِفة صِفاتِهِ مِن بعد المُحدَثات المخلوقات أولاً فأوَّلُ ذَلِكَ مَعرِفَةُ أبنيَةُ الكلام التي لَمْ يَهِب اللَّه عِلمَها إلا لِنَبيٍّ مُرسَل أو وصيِّ نَبيٍ أو مؤمِنٍ مُمتَحِنٍ مُستَبصِرٍ بالِغٍ عارِفٍ بِكنهِ مَعرِفَتِهِ، ورَزَقَهُ اللَّه الفَهمَ والدين بِها في كتابِ اللَّه مَع مَعرِفَةِ كتاب أبنيَةِ الكلام فَيَعرِف النتائِج والكامِل والهيولى وأيِّ مِن أيّ والكيفيَّة والكُليَّة والموضوعات والمنسوبات

والمُتَشَـابِهات والمُتَشَـاكِلات والمحسوسـات والـذوات والحـواس والجوارِح والموجِبَـة والسالِبَة والخَاصَّـة والعَامَّـة وخـاصّ الخاصـة وخاصّ العَامَّة ومَعرِفَةَ الحَرَكَـة ومَعرِفَـةَ السكون ومَعرِفَـةَ الجواهِر ومَعرِفَـةَ النُقصـان ومَعرِفَـةَ الزِيـادَة ومَعرِفَـةَ المفصـول ومَعرِفَـةَ المُوصـول ومَعرِفَـةَ التَـأليف ومَعرِفَـةَ المَقطوع ومَعرِفَـةَ المُتَصِـلات ومَعرِفَةَ المُتَبَاينات ومَعرِفَةَ السَبعَة اللاتي مَرَدُّها إلى مَرَدٍّ واحِد.

فـإنَّ مَعرِفَتها تَجِبُ علـى كُلِّ روحـاني ومَعرِفَـة الحُجُب، ومَعرِفَـة النَقلَة ومَعرِفَة السَماء وما فيها ومَعرِفَة الأرض وما فيها ومَعرِفَـة البِحـار ومـا فيهـا ومَعرِفَـة الشَـمس والقَمَـر ومَجراهـا وأبراجهمـا ومَعرِفَـة الأفـلاك ودورانَهـا ومَعرِفَـة النجـومِ والكواكِـب ومسـيرَها ومَعرِفَـة الهواء واختِلافِـهِ ومَعرِفَـة الطَبائِع العُليا ومِعرِفَـة الطبائِـع السُفلى ومَعرِفَـة الطبـائِع الوسـطى ومَعرِفَـة آدَم (عَليـهِ السَـلام) وكيفَ كانَ تَركيبُ بَدَنِهِ ومِمَّا كانَت روحَهُ ولِمَ كـانَ فـي الجَنَّـةِ حُرّاً وفي الأرضِ عَبداً ولِمَ كـانَ فـي الجَنَّـةِ مُهمَلاً، لا لأحَّدٍ عليـهِ أمراً ولا نَهيـاً يَصـنَعُ مـا يَشـاء ويأكُـلُ مـا يَشـاء حَتَّـى نهـاهُ اللَّـه عَن واحِدَةٍ وهيَ عَن الأكلِ من الشَجَرَة، ولِمَ افتَرَضَ اللَّـه (عَزَّ وجَل) عَليهِ في الأرضِ فَرائِضاً إن قَصَّرَ عَنها عوقِبَ وعُذِّبَ ولِمَ حظَّر عليهِ المآكِلَ والمشَارِب إلا بِمقدار ولِمَ قيلَ لَهُ إن أنتَ رَجِعت عَن

غَفلَتِكَ وسَهوكَ رُدِدّتَ إلى الجَنَّة كما كُنتَ فيها حُرَّاً ومَعرِفَة النَسَب ومَعرِفَة الشعوب ومَعرِفَة القبائِل ومَعرِفَة الخيرِ والشَر ومَعرِفَة العَقل ومَعرِفَة الجَهل ومَعرِفَة الطَّاعَة ومَعرِفَة المَعصيَة ومَعرِفَة ما يَخرُج مِنهُ إلى المَعصيَة إلى المسوخيَّة.

قالَ الرِضا (عَليهِ السلام) إنَّ سُليمانَ بن داؤد (عليهِ السلام) قال: لا يَجوز أن أبلغَ هذا كُلَّهُ بِرأيي وحدي ولكنِّي أجمَعُ إليَّ مِن عُلَماءِ أرضي ومِن حُكَماءِ أرضِ فارِس ألفَ رَجُل.

ففعَلَ ذَلِك ثُمَّ قالَ لَهُمْ: إنِّي أُمِرتُ بِأمرٍ أن أضَعَ كِتاباً أجعَلُ فيهِ كَذا وكَذا ووَصَفَ لَهُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ وقالَ لَهُمْ: أعوا إليَّ أسماعَكُم، واجمَعوا عقولَكُمْ فإنَّ الرَأيَ عِندي إذا أجمَعَ ذَلِك كانَ أصوَب وأقرَبُ إلى الحَقِّ والنِصفَة فأشيروا عَليَّ بِما عِندَكُمْ فقالوا: يا نَبيَّ اللَّه إنَّ الأرضَ أربَعَةُ أقسامٍ وأربَعُ فُرَق: رُبعٌ مِنها المقدَّسة التي لَمْ تَزَل بِها، والرُبعُ الثاني الرُّوم، والرُبعُ الثالِث الهند، والربعُ الرابِع العَجَم ([3]) فإن رَأيتَ أن توَجِّه إلى مَنْ يأتيكَ مِنْ كُلِّ ناحيَةٍ ألفَ رَجُلٍ حَكيمٍ عَليم مِنْ حُكَمائِهم حتَّى تُناظِرَهُمْ في كُلِّ يومٍ ستَّ ساعاتٍ مِنَ النَهار فإنَّ اللَّه قَد وهَبَ لِكُلِّ عَبدٍ مِنَ العِلمِ بِقَدرِ إرادَتِهِ ومشيئَتِهِ فإذا أجمَعَ الرأيُ مِنَ الجَميع كانَ أصوَب.

فقالَ سُليمان: قُلتُمْ الحَق وأشَرتُمْ بالصواب.

فكَتَبَ إلـى الأقـاليمِ الأربَعَـة فلمَّـا اجتَمَـعَ عِنـدَهُ أربَعَـةُ آلافِ رَجُـلٍ حكيمٍ عَليم أخبَرَهُم بِما أوحى اللَّه إليه في وَضعِ كِتابِ الأسوس ليجعَلَـهُ منافِعاً للنَّـاس وليَقِفوا بـهِ علـى كُلِّ تُحفَـةٍ وكُلِّ لُغَـةٍ مِن سائِرِ العلومِ واللُغات.

فقـالوا: أيُّهـا المَلِك إنَّ لكل شـيءٍ خَلَقَـهُ اللَّـه وبَرأهُ ووضَـعَهُ فـي الأرض شَكلاً وأصلاً إذا عُرِفَ أصلهُ سَهُلَ نباتهُ، والـرَأيُ أن نَضَـع لِما نَدَبتَنا إليهِ كِتاباً يُسَمَّى: تـأليفُ أبنيَـةُ الكـلام يَكونُ أصـلاً لِمـا ذَكَـرت فإنَّـا إذا وَضَـعنا الأصـل سَـهُلَ الفَـرع وإذا لَـمْ نَضَـع أصـلاً تناقَضَت عَلينا جَميعُ فروعِنا.

فقالَ: قُلتُم حَقَّاً وأشَرتُمْ بالصواب.

قالَ: نؤَلِّف كِتاباً يُسمَّى أبنيَـةُ الكـلام، واجتَمَـعَ علـى تَأليفـهِ أربَعَـةُ آلافِ رَجُل حَكيم عَليم.

فلمَّا ألَّفوهُ عَرَضوهُ على سُليمان بن داوُد ـ عَليـهِ السـلام ـ فقارَنَـهُ سُليمان إلى عِلمِ ما أعطاهُ اللَّه فَوَجَدَهُ مُشاكِلاً لَهُ،ثُمَّ قالَ لَهُمْ: قَد وَضَعتُمْ أصولَ المَعارِف وأسَّستُمْ بُنياناً بِفَهم ودَبَّرتُمْ تَدبيراً فَأتِمُّوا بِناءهُ وأجيبوا في كُلِّ حَرفٍ بِما يُشاكِلَهُ على أنَّ الأمرَ قَد سَهل .

والآن تفَرَّغوا لأنفُسِكُم لِوَضعِ كتاب الأسوس.

فقالوا: يا نَبيَّ اللَّه إنَّهُ لا يَجتَمِعُ لَنا رَأياً لِكثرَتِنا فإن رَأيتَ أن نَختارَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مائَةَ رَجُلٍ .

فقالَ: افعَلوا .

ثُمَّ أنَّهُمْ رِجِعوا حتَّى جَعَلوا الإختيارَ عَشرَةُ رِجال،ثُمَّ قالوا: وهَذا أيضاً كَثير،فلا يَتِمُّ هَذا الأمر إلا بِسائِلٍ ومُجيب وسائِرِ العُلَماء يَستَمِعون فقالَ: صَدَقتُمْ فاجتَمَعوا على ذَلِك ...

قالَ ابن الخدري: حَدَّثَني إبراهيم بن محمد العَبدي [4] صاحِب الرِضا ـ عَليهِ السلام ـ إنَّ المَأمونَ في خلافَتِهِ طَلَبَ هَذا الكتاب الذي يُسَمَّى تأليف أبنيَةِ الكلام،فوجَدَ بَعضَهُ عِندَ الرُّومِ وبَعضَهُ عِندَ أهلِ فارِس وبَعضَهُ عِندَ أهلِ الهند فجاءَ مُتَغيِّراً قَد ذَهَبَ أكثَرَهُ فاغتَمَّ المأمون لِذَلِك إذ لم يَجِدهُ تامَّاً صَحيحاً،فلمَّا رَأى الرِضا ـ عَليهِ السلام ـ مِمَّا تَوجَّهَ المأمون عَليه قالَ لَهُ: عِندي هوَ صَحيحاً تامَّاً.

فلمَّا سَمِعَ المأمونُ مِنهُ ذَلِك قامَ إليهِ وقَبَّلَ رأسَهُ وقال لَهُ: يا سيِّدي قَد عَلِمتُ أنَّكُمْ مَعدَنُ الحِكمَة والكرامَة أفَتَأمرُ بإحضارِهِ .

فقالَ الرِضا ـ عَليهِ السلام ـ أنا أحفَظُهُ حِفظاً .

فتَعَجَّبَ المأمون مِن ذَلِك وقالَ إنَّهُ بَلَغَني أنَّهُ في ألفِ وجهٍ رُقَّ .

فقالَ الرِضا ـ عَليهِ السلام ـ نَعم أنا حافِظهُ مِن أوَّلِهِ إلى آخرِهِ دَرساً،لَمْ أُغادِر مِنهُ حَرفاً وقَد استَخرَجتُهُ مِنَ العبراني إلى العَرَبي ليَسهُلَ إلى سامِعِه وقارئه فأمَرَ المأمون أن يُتلى عَليه .

فقالَ الرِضا ـ مِنهُ السلام ـ آتِنا بِكاتِب فاستَدعى ابِن الخدري،فجَعَلَ الرِضا يُملي وابن الخدري يَكتُب إلى آخِرِ الكتاب .

فلمَّا سَمِعَ المأمونُ مِنهُ ذَلِك أمَرَ أن يُبايِعَهُ وجَعَلَهُ وليَّ عَهدِه وقامَ إليهِ وقَبَّلَ رَأسَهُ وقال: الأمرُ هوَ واللَّه لَكُمْ وسَيعودُ إليكُمْ وأنا أوَّلُ مَن يُخرِجَهُ مِن عُنُقِه ولولا أنَّ أهلَ بَلدي وأهلَ بيعَتي يُعاتِبوني [5] ويُجلِسونَ غيري لَنَزَعتُ واللَّه نَفسي وأجلَستُكَ مَجلسي ولَكنِّي سوفَ أعقِدُ لَك ذَلِك وأحكمُ لَكَ الأمر بعَهدي حَتَّى لا يَختَلِف فيكَ اثنان بَعدي .

فكانَ مِن أمرِهِ وأحكامِهِ لَهُ ما كان ثُمَّ ارتَدَّ ناكِثاً على عَقبيهِ،ولنعدْ إلى مُبتَداه .

قالَ ثُمَّ اجتَمَعَ الحُكَماء عِندَ سُليمان ـ عليهِ السلام ـ وانفَرَدَ العالِم والسائِل،وكانَ السائِل مُستَفهِماً والعالِم مُجيباً.

فقالَ السائِل: أخبِرني أيها العَالِم عَمَّا يَكونُ في اللَّه، وما لا يَجوزُ فيه، وما يُمكِنُ مِنهُ، وما لا يُمكِن، وأينَ هوَ، وفي أيِّ

شيء هوَ، وهَل هوَ خارِج مِن خَلقهِ أم داخِل فيهِمْ، أم لا داخِل ولا خارِج، أم هوَ مُمازِجٌ لِخَلقِهِ، أم مباين، أم لا ممازج ولا مباين، وما حَدُّ المَعرِفَة التي إذا عَرَفَها العارِف وبَلَغَها كَفتْهُ ولم يَحتجْ إلى مَعرِفَةٍ غيرها وهيَ غايَةُ المَعرِفَة ؟.

قالَ العالِم: أمَّا أوَّلُ مَسألَةٍ أُجيبُكَ عَنها فهيَ آخِرُ مَسألَةٍ سَألتَني عَنها،لو كانَ اللَّه مُمَازِجاً للأشياء لكانَ مُشاكِلاً لَها،ولو كانَ مُبايناً لها لكانَ ضِداً لِها،ولو كانَ لا مُباين ولا مُمازج لكانَ مَجهولاً .

ولكن أقول أنَّهُ مُبايِنٌ لَها في جوهَرِها مِنَ الإلهيَّة والقُدرَة والعلم والقَهر .

ولا أقول: أنَّهُ مُبايِنٌ لَها مُضادٌ،بَل أقول: أنَّهُ خَارِجٌ مِنها لا أُريد أنَّهُ ليسَ فيها بَل أنَّ جوهَرَهُ مُفارِقاً لِجوهَرَها وإن كانَ فيها،ولا أقولُ أنَّ جوهَرَهُ مُختَلِطٌ بِها لأنَّها مُحدَثَة وهوَ قَديم وهيَ مَخلوقَة وهوَ خالِقٌ وهيَ مَصنوعَةٌ وهوَ صانِعٌ .

فهذا جواب مَسألتك،وليسَ كونه فيها كلها بل عِلمُهُ في كُلِّها،وإن كانَت ذواتُ أعدادٍ لا تُحصى فلو كانَ كونُهُ فيها كلها ككونٍ واحِدٍ لكانَ مَن عَبَدَهُ فيها كُلِّها مُصيباً ولا يَضِلَّهُ ضالٌّ ولا يَجهَلُهُ جاهِلٌ ولا يَعقِلَهُ عاقِلٌ .

وكان كُلُّ مَن عَبَدَ شيئاً مُصيباً في عِبادَتِهِ وعَرَفَ موضِعَهُ وفي ذَلِكَ نَفيُ الطَهارات عَن المواضِع الطاهِرَة،ونفيُ تَفاضُل المَكان وإنكارٌ لِما جاءت بهِ الرسُل والأنبياء ـ عَليهم السلام ـ في نفي الشِّرك والكُفر والضَلالِ .

وفي ذَلِكَ أنَّ جَميعَ ما تقَرَّر أن يَكونَ أماكِناً للَّه ولكِنَّهُ في مكانٍ دونَ مكانٍ مِنها واتِساعُ الأمكِنَة بالقُدرَة والعلم كما أنَّ الشمسَ في السَماء ومَحَلُّ ضيائها في كُلِّ مَكان مِنَ الأرض، وكذلك طهرت المواضِع وتَفاضَلَت الأماكِن وأصيبَ الرَّب وعرف نسبَةَ الموضِع وذَلِكَ أنَّهُ ليسَ مِن شيء إلا وهوَ مَنسوبُ إلى نَفسهِ وأماكِنِهِ بِقولِ القائِل: الشَمس يَعني نسبَةُ الجوهَر ثُمَّ يَقولُ هيَ في السَماء فهوَ نِسبَةُ المَكان.

فإذا قالَ الشَمس ولم يجيء بنسبتها في جوهَرِها ولَمْ يأتي بِنسبة المكان كانَ ذَلِكَ عِندَ النَّاسِ جاهِلاً بالشَمس، وإن أتى بنسبتها ومَعرِفَة جوهَرِها وصِفات حدودِها جَميعاً فحينئذٍ يكونُ عارِفاً غيرَ جاهِلٍ وكذَلِكَ جَميعُ الأشياءِ مِنَ الأفلاك والنجوم والبِحار والبُلدان.

يَقولُ الرَجُل بيتُ المَقدِس فإذا لَمْ يَنسبهُ إلى البَلدَة التي هوَ فيها لكانَ جاهِلاً بهِ حَتَّى يَعرِف ويَأتي بنسبَةِ المكان والجوهَر فإذا

فَعَلَ ذَلِك كان عارِفاً بِنَصفِ المَعرِفَة ولَمْ تَكُن المَعرِفَة تامَّة حَتَّى يَعرِف مَعرِفَةَ الرؤيَة والحدود والصورَة وأيٌ مِن أيٍ.

فَإذا عَرَفَ ذَلِكَ كانَ مَعَهُ ثُلثا المَعرِفَة لَمْ يَحتجْ مَعَها إلى شيءٍ ولَمْ تَكُن المَعرِفَة تامَّة حَتَّى يَعرِف: هَل يَجوز أن يَنتَقِل بنسبَة المكان والجوهَر والحدود والرؤيَة أو لا يَنتَقِل، يَضرُّهُ انتِقالهُ أو لا يَضرُّهُ، يتَغيَّرُ جوهَرُهُ إذا انتَقَلَ أو انقَلَبَ أو لا يَتَغيَّر إذا انقَلَبَت عَنهُ تِلكَ الصِفَة فإذا عَرفتَ ذَلِك كمُلَت لَهُ المَعرِفَة فذلك مَعرفتهُ بكونهِ في الأشياء.

وأمَّا قولُكَ هل هوَ خارِج مِنها ؟ فلو كانَ خارِجاً مِنها لَمْ يَعرِفْهُ أحَّد وذَلِكَ الأشياءُ كَثيرَة فيها وفي الأمكِنَة لا تعرف فإذا كانَ الشيء في المَكان والحدود والنُسَب والرؤيَة يُجهَل .

فالذي هوَ خارِجٌ عَنهُ لا يدرِكهُ ذهن ولا يتَصوَّر في وَهم ولا يَقَعُ عَليهِ نِسبَة ولا يُعرَفُ لَهُ جوهَر فكيفَ يُقصَدُ إليه وكيفَ يُطلَب وكيفَ يَتَصوَّر في وَهم وكيفَ يُعرَف وكيفَ يُدعى وكيفَ يَتَّخِذ قِبلَة وكيفَ يُقصَدُ إليهِ بِدُعاء وذَلِكَ أجهَل وأجهَل وذَلِكَ حَدٌّ لا يستعبد بهِ خَلقه ولَمْ تُعطى مَعرِفَتهُ ولَمْ تَدرِ كيفَ القَصدُ إليه وذَلِكَ حَدُّ المجهول لأنَّ المجهول لَهُ صِفات فحَدُّ صِفاتِهِ أن يُقال: لا داخِل ولا خارِج ولا مُباين ولا ممازِج فهذا حَدُّ المجهول .

وأمَّا حَدُّ المعروف أن يُعرَف بِخَمسَةِ أشياء: أن يكون الجوهَر مباين ويكون مُشاكِلاً ويكون مِن جنس ولا يكون من ضِد ويكون خارِجاً مِن هَذهِ المعاني وأن يكون في المكان مبايناً لهذه المعاني الأربَعَة أو يكون مِن شكل أو يكون مِن ضد أو يكون داخِلاً فيه أو يكون يَقدِر عليه فهوَ خارِجٌ مِن معانيها في الجوهَر وفي ذَلِكَ إثباتُ التوحيد ومَعرِفَةُ الجوهَر بِلا صِفَة .

قالَ السائِل: وما المسألَة في المَعرِفَة أين تَبلُغ وأيُّ شيءٍ حَدَّهُ ؟ فأوَّلُ حَدٍّ لَهُ وآخِرُ حَد بأنَّهُ يَقدِر ولا يُقدَر عليه ومعرفة موضعه ونسبته للموضِع الذي هوَ فيه وأنَّهُ لا يُغيِّرَهُ الموضِع وفي ذَلِكَ إيجاب إذا كان في الموضِع ولا يُغَيرُهُ ولا يَتَغيَّر الموضِع فهوَ في كُلِّ موضِع إذا انتَقَلَ ولا يخفي ولاُ يُغير نِسبةَ الجوهَر ونِسبَةَ المكان والحدود والأقطار ومعرفته إنَّ نَقلَتَهُ لا تُغيِّرُهُ ولا يَتَغيَّر لِنَقلَتِهِ ومَعرفتِهِ أنَّ النَقلَة تَجِبُ لَهُ أو لا تَجِب،تَصلح لَهُ أو لا تَصلُح،ومَعرفة إذا طَلَبَهُ طالِب أينَ يَطلبهُ،وأيُّ موضِع مِنَ المواضِع هوَ فيه،وكيفَ هيئَتهُ في ذَلِكَ الموضِع،تَتَغيَّر تِلكَ الهيئَة أو لا تَتَغيَّر،وما علامَةُ نَقلَتِهِ،وعلامَةُ جنسهِ بالرؤيَة والعَقل،وما مَعرِفَةُ جوهَرِهِ،وما يصلح ذَلِكَ الجوهَر لغيرِهِ أو لا يَصلُح،وإذا تَوجَّهَ المتوجِّه إليه في حال فيعرفهُ يُجزيهِ ذَلِكَ أو لا يُجزيه.

قالَ العالِم: المَعرِفَةُ ثابِتَة بِهَذهِ الحدود التي وصَفتَها وحدوثها وكُلُّ المَعرِفَة تَدخلُ في ثلاثَةِ أحرُف،معرفة النسبَة أينَما كانَت،ومعرفة النَقلَة إذا كانَت أصلُ النسبَة والانتقال،وذَلِكَ أنَّهُ كانَ ولا شيءَ مَعَهُ،ثُمَّ خَلَقَ الشيء في موضِع لا شيء كان فهوَ فيه إذا كانَ نِسبَتَهُ أنَّهُ في شيء وجَبَ أنَّهُ في مكان يُعرَفُ بالنِسبَة وبِذَلِكَ جاءت الكتب ونَبَّأت الأنبياء والرُسُل ـ عَليهِم السلام ـ أنَّهُ كانَ عَرشهُ على الماء ثُمَّ صارَ إلى السَماء ثُمَّ صارَ إلى الأرض .

فليسَ نسبتهُ إلى موضِع واحِد ولَمْ ينتقِل عَن نسبَة الجوهَر ولن يَفعَل ذَلِك إلا وأنَّ النَقلَة حِكمَة ومَعرِفَة ولا بُدَّ إذا انتقَلَ في الأرضِ والسَماء والماء وكانَت النَقلَة لا تُغيِّر ذاته والماء والسماء جماد ولا حَرَكَة فيهُما ولا نطق لهما وجَبَ أن يَنتَقِلَ إلى المُتَحَرِّك النَّاطِق وأن ينسب بهِ لأنَّهُ أثبَتَ في الحِكمَة والنصفَة والمخاطَبَة والأمر والنهي .

وكما أنَّهُ كانَ يُعرَفُ بنسبَةِ المَكان الذي هوَ غير حي كذَلِكَ يَجِب أن يُعرَف بنسبَةِ المكان الذي هوَ حي .

فلما أن كانَ في الحي فنسبة النَبيِّين والمُرسَلين والقدرَة والمَشيئَة والإرادَة أن يُعرَف بنسبة المكان إذا كانَت المَعرِفَة لا تَكون إلا

مَعرِفَةُ النسبَة في المكان وأن يَجري عَليهِ مِنَ النسب في الأماكِن في الحيوان كما جرى عليهِ في الموت وكذَلِكَ قالَت الكتب ونَبَّأت الأنبياء وأخبَرَت الرسُل أنَّهُ كانَ عرشهُ على الماء ثُمَّ صارَ إلى السَماء ثُمَّ صَارَ إلى الأرض.

وحيثُ كانَ على الماء وأنَّهُ في السماء ويكونُ في سَماءِ سَماء في أوقاتٍ مُختَلِفَة بنسبة المكان فلِذَلِكَ جازَ أن يَكون في نسبة الحيوان إذا نزلَ إلى الأرض فلا يأمَن على مَن صَعِد أن يَنزِل مِن عال،ومَن كانَ نسبته موتاً جازَ أن يكون نسبتهُ حيواناً وإذا كانَت نسبتهُ نفي القدرة جازَ أن يكون نسبتهُ إثبات القدرَة،وإن كانَت نسبتهُ أنَّهُ لا في شيء جازَ أن يكون نسبتهُ أنَّهُ في شيء فصِفَات القدم غير صِفَات الحدث،وصِفَاتُ القدم أنَّهُ يُقال: لا في شيء ولا خارِج مِن شيء ولا دَاخِل في شيء ولا يُوصَف في شيء وفي ذَلِك نَفي القدرَة عن الصِفَات وذَلِكَ أنَّهُ لَمْ يُمكِن أحَّد أن يصِفهُ .

فإذا قُلتَ ليسَ كَمثلهِ شيء ولا يُشبِهُ شيء ولا ندٌّ لَهُ ولا ضد ولا مثل لَهُ ولا خارِج مِن شيء ولا داخِل في شيء ولا يوصَف بشيء تريدُ بِذَلِك أنَّهُ كانَ وَحدَهُ لَمْ يَصِف نَفسَهُ لِخَلقِهِ وذَلِكَ أنَّ الخَلقَ لَمْ يَكونوا فهَذهِ نسبَتَهُ في القِدَم لأنَّهُ لَمْ يَحتاج إلى أحَّد أن

ينسبهُ ولا يعرفهُ ولا يُخاطِبُهُ ولا يُناطِقُهُ فهَذهِ صِفَاتُ العز،وإثبات الجوهَر بِلا صِفَةَ لأنَّهُ مُستغنٍ بنفسهِ أن يَصِف نَفسَهُ لنَفسهِ،ومُستَغنٍ أن يُكَلِّم نفسه لنفسهِ فهذهِ صِفَةُ القدم،ثُمَّ إنَّ اللَّه . عَزَّ وجَل . شاءَ وأرادَ وقَدَّر وقَضى فتكَلَّم وظَهَرَ للخَلقِ وكانَ الخَلق الذينَ خَلَقَهُمْ وظَهَرَ لَهُمْ يرونهُ ويُشاهِدونَهُ ويُثبِتونهُ وذَلِكَ أنَهُمْ روحانيون فأمكَنَهُمْ النظر إليه بِلُطفِ ذواتهم،وبهِ سَمِعوا كلامَهُ وعَلِموا قُدرتَهُ وعِلمَهُ فحينئذٍ وقَعَت الصِفات واحتيجَ إلى المعاني والمعارِف ونسبة المكان والأماكِن التي كانَت مِن قَبل أن يُجَنِّس الأجناس .

فقالَت الملائِكَةُ الروحانيون،ووصَفَت القَديم الأزَل بِما رَأت مِنهُ وذَلِكَ أنَّها سَمِعَت مِنهُ كلام ورأت لَهُ نَفساً ورَأت لَهُ روحاً ورَأت مِنهُ قُدرَة وشاهَدَت مِنهُ ما شاهَدَت مِن أنفُسِها فلم تَعرِف بأنَّهُ رَبُّها فلمَّا أن ظَهَرَ لَها عَلِمَت أنَّهُ رَبُّها بالنطق والنفس والذات .

ثُمَّ إنَّ اللَّه أظهَرَ نَفسَهُ أشخاص كهيئَة الملائِكَة صوَراً مُختَلِفَة بصورَة الشيخ الأبيَض الرَأس واللحيَة وهيَ لمَّا وصَفت ذاتَهُ حينَ رأت قَديمَ الأيَّام .

وقيلَ ما وَصَفَهُ دانيال حيثُ قال رَأيتُ قَديمَ الأيَّام على كُرسيٍّ مِن نور حولَهُ الملائِكَةُ على صورة الشيخ الأبيَض الرَأس واللحيَة

بصورَةِ الوقار والرَّحمَة والهيبَة يَتَلَطَّف في الملائِكَة .

ثُمَّ نَظَرْت إليه فرأتهُ كهيئَة الشاب راكِب على أسَدٍ مِن نور مفتول السِبال وذَلِكَ بِهيئَةِ الغَضَب .

ثُمَّ أراها قُدرَتَهُ في التَربيَة والغِذاء في صورَةِ الصَبيِّ الصَغير وأراهُمْ كيفُ يُغَذَّى وكيفَ يَنشَأ وكيفَ يُفطَم .

فعَلِمَت الملائِكَة ذَلِكَ كُلَّهُ وذَلِكَ أنَّ الملائِكَة رَأت مِنَ الشيخِ قُدرَة وعِلماً ،ومِنَ الشَّاب قُدرَة وعِلماً ،ومِنَ الصَبيِّ الصَغير قُدرَة وعِلماً ،واختَلَفَت عليهِمْ الصوَر ولَمْ تَختَلِف عَليهِم القُدرَة فذَلِكَ الذي دَلَّ عليهِ الملائِكَة أنَّهُ شيء واحِد فجَعَلَت الأسماء والنسبة للرَّب بِما رَأت مِن قُدرَتِهِ وعلمِهِ .

ثُمَّ إنَّ اللَّه تَعالى خَلَقَ آدَم ـ عليهِ السلام ـ على صورَةِ الملائِكَة وأخَذَ عليهِم العَهد في الميثاق بالصورَة التي عرَضَها على الملائِكَة وأظهَرَ لَهُمْ القدرَة والعلم،ثُمَّ إنَّهُ خَلَقَ ما شاء كما شاء فخَلَقَ بَدَنَ آدَم ـ عليهِ السلام ـ مِنَ التراب مِنَ الطبائِع الأربَعَة وذَلِكَ أنَّ الصورَة التي شاهَدتها الملائِكَة أربَع صوَر صورَةُ الشيخ وصورَةُ الشَّاب والقدرَة والمشيئَة فخَلَقَ مِن كُلِّ صورَة طبيعَة،وهو الواحِد الخالِق لا تَشَتُتَ فيهِ ولا تَفَرُّق فشاهَدَتهُ الملائِكَة بالأربَعِ طبائِع وهوَ بجوهَرِهِ الواحِد الذي ظَهَرَ بهذهِ

الأشخاص الأربَعَة فهَذهِ مَعرِفَةُ الأشخاص الأربَعَة في السماء .
أما ترَى الكتُب كيفَ نَطَقَت على ألسُنِ النَبيِّين ـ عليهم السلام ـ أنَّهُ دَخَلَ ثلاثُ نفَر على إبراهيم الخليل في هيئَةٍ واحِدَة وسَنٍ واحِدٍ ومَثَلٍ واحدٍ حتَّى ظَنَّ إبراهيم أنَّهُم ملائِكَة فأعدَّ لهم ما يبيِّن أمرهم فاتَّخَذَ لَهُمْ طَعاماً فلمَّا تبيَّنَ لَهُ أمرهُمْ ذَكَرَ الميثاق بثلاثِ أشخاص وآمنَ بالديَّان وجَعَلَ الديَّان واحِد لمعرفتهِ بأنَّ الجوهَر واحِد وذَكَرَ الميثاق وكفاهُ المؤونة للواحِد الذي ظَهَرَ بثلاثَةِ أشخاص بالقدرة والمشيئَة التَّامَة فبَشَّرَ بِها ولَدَهُ ودَلَّ عليها ثُمّ جاء الأنبياء مِن ولَدهِ كُلِّهِمْ يطلبونَ القدرَة والكَلِمَة النَّاطِقَة التي نَطَقَت على ألسن الأنبياء فآمنَ إبراهيم الخَليل بذَلِك وآمنَ ولَدهُ بطاعَتِهِ ونَطَقَ الرُّوح عَنهُ وغيَّرَ كَلِمَتَهُ ونَجَّاهُ مِنَ النَّار فصارَت النَّارُ عليهِ بَرداً وسَلاماً وإنَّما أرادَ أن يَعرِف أنَّ اللَّه ـ عَزَّ وجَل ـ نَطَقَ على ألسُنِ النَبيِّين ـ عليهم السلام ـ وأمَرَ النَبيِّين بِطاعتِهِ .
قالَ العالِم للسائِل: لَن يَضُرَّ المَخلوق الخالِق إذا أنزَلَ بهِ قُدرَتَهُ أو حَلَّ بهِ ولَن يَضُرَّ الخالِق المَخلوق بنزولِه بِهِ وذَلِكَ أنَّ السموات والملائِكَة والأرواح مَخلوقَة وهيَ ترى الخالِق فلو كانَت رؤيتَها إياه تَضرّه أو تَنفَعَهُ لكانَت مَعرِفَتها إيَّاه تَضرُّهُ ولو كانَت رؤيتها إيَّاهُ جَهلاً بهِ لكانَت معرفتُها إيَّاه جَهلاً بهِ وكَذا أنَّ عِلمَهُ

وقدرتـهُ فـي المَخلـوقين لَـن تَضُـرَّهُ لأنَّ القـدرَة والعلـم فـي الأشـياء أخفـى مِنَ الـرحم والظُلمَـة والمواضِـع القَذِرَة الـتي تعاف ويسـتعذر اسمها فالعلم والقدرَة فيها ومحيطان بها وبكلها بصـغيرِها وكبيرها وكذَلِكَ القدرَة إذا نَزَلَت بِها كما نَزَلَت صِفاتُها لَمْ يَضرهُ مِنها شـيء ولَمْ ينقصها مِنهُ شيء وذَلِكَ أنَّهُ لا يُشاكِلها ولا يضاددها .

قالَ السائِل: فهَذهِ مَعرِفَةٌ تُجزيني.

قالَ العالِم: نَعَمْ ويَقيَ مِنها أنَّ اللَّه مِن أوَّلِ ما خَلَق الخَلق إلى أن يُميتَهُمْ لا بُدَّ أن يكون هوَ المدَبِّر فيهم فصارَ قاضِياً في أطرافِ ديارِهم ووسَطِها وأضاءَ نورَهُ في أطرافِ الزَّمان ووسَطِهِ وظَهَرَ بهيئَتِهِمْ ونسبتهم وصِفاتهم للإحتِجاج عليهم بنفسهِ حتَّى لا يَبقى عليهِمْ وجهٌ مِنَ الوجوه إلا واحتَجَّ بهِ عليهم بنفسهِ وذَلِكَ حَتَّى يريهم قدرتهُ ومشيئَتهُ وما يَنطُق بهِ على ألسُن النَبيِّين والمُرسَلين وما يُغيِّرونَ مِن شيء عَن صِفاتهِ ويَعلَمونَ الشيء الذي لا يَقدِر عليه أحَّد إلا اللَّه فيَدينُ بِذَلِك مَن وهَبَ اللَّه لَهُ الفَهم ويَجهَلُ ذَلِك مَن لَمْ يَهِب اللَّه لَهُ عَقلاً ولا فَهماً .

فذَلِكَ أنَّ الأنبياءَ ـ عليهم السلام ـ دونَ اللَّه وكذَلِكَ الملائِكَةُ دونَهُ وكُلٌّ مِنهُمْ لَهُ الفِعل فليسَ هُمْ الفاعِلون وإنَّما الفِعلُ بذَلِكَ للَّه وبِقُدرَةِ اللَّه وإذنهِ أما سَمِعْتَ قولَ المسيحِ ـ عليهِ السلام ـ حيثُ

يقول: أخلقُ لَكُمْ بإذنِ اللَّه،وغايَةُ المَعرِفَة باللَّه أن تؤمِن بالقدرَة أنَّها مِنَ اللَّه وهوَ فاعِلُها وإن ظَهَرَت مِن غيرهِ لأنَّ اللَّه تَعالى باقٍ وكُلما دونه فانٍ،فإذا قَصَدَ إليهِ المؤمِن فهوَ غايَةُ الإيمان بهِ وإذا بَرِيء الكافِر مِنهُ فهوَ غايَةُ الكُفرِ بهِ .

قالَ السائِل: أيُّها العالِم أبقَيَ عَليَّ مِنَ المَعرِفَةِ شيء.

قالَ العالم: نعَم وما هيَ ؟

قالَ السائِل: وكيف رأى المَخلوقون رَبَّهُمْ والرَّب لا تُدرِكَهُ الأبصار وهوَ يُدرِك الأبصار وهوَ اللطيفُ الخَبير وليسَ كمثلهِ شيء كيفَ عُرِفَ بهِ ؟

قالَ العالِم: إنَّ الأرواحَ والملائِكَة رأت اللَّه بالقُدرَة العُظمى والعز الأوفى فآمنَت بهِ فأرادَ رَبُّكَ أن يُكمِل لَهُمْ الإيمان فأراهُمْ نَفسَهُ بالقدرَة والمشيئَة والنَقلَة وتَغييرِ الصورَة والقالِب وتَغيِّير الشيء عَن كيانهِ وليسَ على رؤيَة ما أراهُ أنا وتراهُ أنت لا بَل على ما أراه وهذهِ أيضاً قدرَة .

قالَ السائِل: بقيَ مِنَ المعرِفَة شيء.

قالَ العالِم: نَعَم بقيَ عليكَ مَعرِفَةُ ظهورهِ بالأنبياء . عليهم السلام . ومَعرِفَةُ القُبلَة وصلاةُ المَشرِق والمَغرِب وصلاة الوسطى وصلاةُ الظهر حَتَّى يَعرِف بهذهِ الصلواتِ الأربَعَة كما عَرَفَت الملائِكَة

الأربَعَة الأشخاص نعَم وبَقيَ عليك حتَّى تَعرِفَهُ في حلولِ كلِّ شيء بلا كيان أو كيان وحلولَهُ في أوصياءِ الأنبياء مِن نَبيٍّ إلى نَبي وحلولَهُ في حواري كُلِّ نبي وحلولَهُ حينَ نَطَقَ في اختِلافِ الألسُن وحلولَهُ في القبائِل والشعوب حَتَّى يُعرَفُ ظهورَهُ في الكمال والأمر وأنَّ القدرَة ليسَت إلا لَهُ وَحدَهُ كلّها حيثُ يشاء وكيفَ شاء وكيفَ لا يَكون وهوَ المؤَدي على ألسُنِ عِبادِهِ وعلى أيديهُمْ وذَلِكَ أنَّ القدرَة ليسَت بموهوبَة .

نعَم وبقيَ مَعرِفَةُ أسمائهِ وبيوتهِ التي يُنزِلُ فيها قُدرَتهُ والمراحِل التي يَرتَحِلُ مِنها فإذا أتى بِقُدرَة عَن قدرَة قيلَ نبي وإذا غيَّرَ الشيء عَن كيانهِ قيلَ اللَّه .

قالَ السائِل: أعطني مِنَ القدرَة ثلاثةَ أمثِلَة يَدخُل مِنها تَعليمي للجَاهِل وفِطنَة للعالم وتَزكيَةً للفِطَن لكي أقدِر أن أُعَلِّمَ كُلَّ جاهِل .

قالَ العالِم: إنَّ العالِمَ أبٌ وطَبيبٌ ومُداوٍ يَنبَغي لهُ أن يَنظُر ويَضَع دواءهُ حيثُ يرى الداء وكيفَ يفطَن الذكي وكيفَ يُخبِر الجاهِل وكيفَ يوهِم الأحمَق وكيفَ يُغري الصَبي وكيفَ يُخرِج الشَك وكيفَ يُعَذِّب ويُحَلِّي طَعمَ المرار على القلوبِ المُختَلِفَة .

ثُمَّ ضَرَبَ العالِم للسائِل مَثَلاً قالَ: إنَّ مَثَلَ مَن يَعلَم كمَثَلِ الشَمسِ

يراها النَّاس ولا يَرونَ علمها وتظل على كُلِّ أجناسِ النَّاس وقَد يَنتَفِعُ بِها الكُلّ وهُمْ لا يَعرِفونَ عِلمَها بحرِّها وجريانها فكُلُّ أحَدٍ مِنَ الخَلقِ قَدِ انتفَعَ برؤيَتِها ولَمْ يَنتَفِع بِها في عِملِها فمثَلُهُمْ كَفجأةِ الموت يَعرِفونَ بمجيءِ أرواحِهم وذهابها ولا يَعرِفونَ مَن هيَ وكيفَ هيَ وإلى أيِّ شيءٍ هيَ كذَلِكَ مَثَلُ العالِمِ والجاهِل كذا قالَ الأجَل الأكبَر القَديم الأعلى الأعظَم.

أخبَرَ بعضُ تلاميذهِ أنَّ النَّاسَ ثلاثُ طبقات عالِمِ رَبَّاني،وطالِب على سَبيلِ النجاة،ومُقَصِّر في النَّار .

وقالَ المسيح أيضاً لبَعضِ تلاميذهِ: ملكٌ طارَ بجناحهِ ومؤمِنٌ وَحَّدَ اللَّه بإصبَعيه .

وقالَ أمير المؤمنين: هَلكَ واللَّه خَزَّانُ المال وبَقيَ خَزَّان العلم،والعلماءُ باقون ما بَقيَت السماء والأرض أبدانهُم مَفقودَة وأمثالهُمْ في القَلبِ موجودَة،المالُ يموت،ويموتُ أهلُهُ،والعِلمُ يَبقى وتَبقى أرواحُ أهلِهِ ويَزكوا على الإنفاق والعِلمُ خيرٌ مِنَ المال،العِلمُ لا يَنفَذ والمال يَنفَذ،الرَّبُّ في العَبد والعَبدُ نائِم .

وأظهَرَ الرَّبُّ قُدرَتَهُ في العَبد كما شاء وكيفَ شاء وذَلِكَ أنَّ القَديم الأزَل لمَّا أرادَ أن يُظهِر الوحدانيَّة أحَبَّ أن يَظهَر بغيرِ ذَلِك فأظهَرَ الأخلاقَ العجيبَة في الأشخاص الغَريبَة في النَشأة

والتَربيَة .

قالَ السائِل: فيظهَر مِنَ الشَجَر والحَجَر والمَدَر والغَمامِ والهواء كما يَظهَر مِنَ النَبيِّين والمُرسَلين ؟

قالَ العالِم: لَهُ أن يَظهَر مِن حيثُ يشاء لأنَّ القُدرَة لَهُ ليسَت بموهوبَة وهو يَظهَر بِصورَةِ الإنسانيَّة لأنَّ الصورَة الإنسانيَّة على مِثالِ صورتهِ وليسَ الشَجَر والحَجَر والمَدَر على مِثالِ صورتهِ وهو كما قالَ التوراة: تعالوا نَخلُقْ إنساناً على صورتنا ومثالنا ... أرادَ أن يُظهِر قُدرَتَهُ في الصورَة التي هيَ على هيئَتِهِ وصورَتِهِ ولا يَظهَر في الجَماد والأموات .

قالَ السائِل: أ فأرادَ أن يُشبِه الخَلق ؟

قالَ العالِم: إنَّما وقَعَ الشِبهُ في الأجناس وليسَ هوَ مِن جنسهِمْ.

قالَ السائِل: إذا كانَت صورتُهُ ليسَت على مثال صورِهِم ثُمَّ رآهُ مَن جَهِلَهُ مَع مَن هوَ على صورَتِهِ لَمْ يَدرِ أيهما العَبدَ مِنَ الرَّب .

قالَ العالِم: بلى وذَلِكَ أنَّ جوهَرَ الخالِق ليسَ هوَ لَحمٌ ودَم فكيفَ يُشبِه الخالِقُ الخَلقَ.

قالَ السائِل: الصورَة لَها مُصوِّرٌ والشيء لَهُ منشئٌ .

قالَ العالِم: صورَةٌ لَها مُصوِّر وصورَةٌ لا مصوِّرَ لَها،وشيءٌ لَهُ

منشئ وشيءٌ لا منشئ لَهُ.

قالَ السائِل: الصورَةُ لَها أجزاء لا يُشبِهُ بَعضَها بَعض

قالَ العالِم: والشيء لَهُ أجزاء لا يُشبِهُ بَعضَهُ بَعض .

قالَ السائِل: الصورَةُ لَها حدودٌ وليسَ خَلفها قدَّامها ولا تُبصِر خَلفَها كما تُبصِر قدَّامها .

قالَ العالِم: وكذَلِكَ الشيء لَهُ حدود ولَهُ قدَّام ولَهُ خَلف وليسَ قدَّامَهُ كخَلفِهِ .

قالَ السائِل: أكانَ لَهُ جسم ؟ فإن كان جسم فله مجسِّم .

قالَ العالِم: وإن كانَ شيئاً ظَاهِراً فَلَهُ منشئ يَظهَرِهِ .

قالَ السائِل: شيءٌ لا صورَةَ فيه .

قالَ العالِم: جِسمٌ لا صورَةَ فيه.

قالَ السائِل: الجِسمُ ذو عَدَد .

قالَ العالِم: شيءٌ لا عَدَدَ لَهُ.

قالَ السائِل: شيءٌ لا صِفَةَ لَهُ.

قالَ العالِم: جِسمٌ لا صِفَةَ لَهُ .

قالَ السائِل: يَخرجُ مِن حَدِّ الأجسام إذا لَمْ يَكُن لَهُ صِفَةَ

قالَ العالِم: ليسَ بخارِجٍ مِن حَدِّ الأجسام وهوَ خارِج مِن حَدِّ الصِفات.

قالَ السائِل: فكيفَ يوصَف ؟

قالَ العالِم: جِسمٌ لا صِفَةَ لَهُ وجِسمٌ لَهُ صِفَةَ .

قالَ السائِل: شيءٌ لا يُشبِههُ شيء وشيءٌ يُشبهُهُ شيء .

قالَ العالِم: جِسمٌ يُشبِهُهُ جِسمٌ وجِسمٌ لا يُشبِهُهُ جِسمٌ.

قالَ السائِل: شيءٌ لا جسم وشيءٌ جسم .

قالَ العالِم: جِسمٌ لا شيء وجِسمٌ شيء .

قالَ السائِل: نفيتَ وجودَ الشيء.

قالَ العالِم: نفيتَ وجودَ الجسم.

قالَ السائِل: الجسم لا بُدَّ أن يَكونَ في مَكان دونَ مَكان

قالَ العالِم: وكَذَلِكَ الشيء لا بُدَّ أن يَكونَ في مَكانٍ دونَ مكان .

قالَ السائِل: شيءٌ يُحيطُ بالأشياء وشيءٌ لا يُحيطُ بالأشياء .

قالَ العالِم: وجِسمٌ يُحيطُ بالأشياء وجِسمٌ لا يُحيطُ بالأشياء .

قالَ السائِل: فالشيء أصلُهُ لا صورَة .

قالَ العالِم: والجِسمُ في أصلِهِ لا صورَة .

قالَ السائِل: الشيء بالصورَة يَظهَر ؟

قال العالم: الجسم بالصورة يظهر .

قال السائل: الشيء عرض وجوهر ؟

قالَ العالِم: الجِسمُ عَرضٌ وجوهَر.

قالَ السائِل: العرض هوَ حدث .

قالَ العالِم: والشيء إنَّما هوَ حدث.

قالَ السائِل: شيءٌ يقومُ بنَفسهِ وشيءٌ لا يقومُ بنفسهِ .

قالَ العالِم: جِسمٌ يَقومُ بِنَفسهِ وجِسمٌ لا يَقومُ بنفسهِ .

قالَ السائِل: الشيءُ مُشتَقٌّ مِنَ الولادَة وأثَرُ الصنعَة .

قالَ العالِم: الجِسمُ مُشتَقٌّ مِنَ الولادَة .

قالَ السائِل: ما أقولُ لَكَ قولاً إلا قُلتَ لي مِثلَهُ وما أجَبتَني إلى جوابٍ إلا بالمكافئات لي فأيَّهُما الحَقُّ مِنَ الباطِل ؟.

قالَ العالِم: المُكافِئاتُ للخَصمين دَليلٌ على أنَّ المُجيبَ انفَرَدَ مِنَ السائِل .

قالَ السائِل: وما الوَجهُ في ذَلِك ؟

قالَ العالِم: العِلمُ مِنَ اللَّه يرِد الحَق،ومِنهُ يسبق،ومِنَ الأنبياءِ يوجَد لا تَعَجُباً ولا استكِباراً ولا تَقبيحاً بِما أتَت بِهِ الأنبياء ولا مستحسناً على رَبِّهِ ما لَمْ يَستَحسِنهُ .

واعلَم أيها السائِل أنَّ الجسمَ شيء والشيء جسم فَلِذَلِكَ تَكافأت الأسماءُ والحُجَج فيهِ ولو كانَ الشيء أثبَت مِنَ الجسم لَظَهَرَت حجَتُكَ ولو كانَ الشيء أقوى مِنَ الجسم لَمْ أضايقكَ طِرفَةُ عين فاسمَع ما أقولُ لَكَ واقبِل على ما أعرِض عليك فإنَّ أقرَبَ القلوبِ

بالصِفَةَ ـ وقيلَ بالنصفة ـ أولاها بالمَعرِفَة،ثُمَّ إنِّي أقولُ لَكَ قالَ الحَكيمُ القَديم: إنَّ أوَّلَ الأيام وآخِرُ الزَّمان يكونُ ظهور الرَّبِّ بعجائِبهِ بالإنسانيَّة والقُدرَةُ التَّامَّة .

سَألتِني عَن الجسمِ والشيء: فالشيء يَدخُلُ فيهِ الضَّعفُ مِن خَمسَةِ أوجُه يَدخُلُ فيهِ الضَّعف لأنَّهُ عرض والعرض لا يَقومُ بنفسهِ وإنَّما يَقومُ بغيرهِ والحَرَكَة لا تَقومُ بنفسها وإنَّما تقومُ بفاعِلَها وكَذَلِكَ اللون والطَّعم والمَذاق كُلٌ لا يَقومُ بَنَفسهِ وإنَّما يَقومُ بغيرهِ .

والجسم يَقومُ بِنَفسهِ وتَحتاجُ هَذهِ الأعراضُ إليه والأشياءُ تَحتاجُ إلى الجسم والجسمُ لا يَحتاجُ إلى هَذهِ الأشياء والشي داخِل في بابِ الجسم وليسَ الجسمُ داخِلاً في بابِ الشيء وذَلِكَ أنَّهُ يَقول الجِسمُ شيءٌ والجِسمُ داخِلٌ في بابِ الجِسم وذَلِكَ أنَّهُ يَقول الجِسمُ شيء والجِسمُ داخِل في بابِ الشيء .

فإذا قالَ القائِل: الشيء دَلَّ على ضَعف فإن قُلتَ شيء لا جسم فهوَ ضعيف وكان الشيء الجِسماني أقوى فإذا كانَ الجِسم دَلَّ على قوي لا ضَعيف والصورَة أقوى مِنَ الجسم وذَلِكَ أنَّ ما لا صورَةَ لَهُ لا عَقلَ لَهُ ولا فَهم ولا نطق ومن له صورة فله عقلٌ وفهمٌ ونطقٌ،والجِسمُ الكامِل الذي لَهُ هَذهِ الصِفَات مِن صِفَة

الصورَة والجِسمُ المَنقوص الذي لا صورَةَ لَهُ وكَذَلِكَ أنَّ الصورَة يُتَوقَّع مِنها المنافِع وما لا صورَةَ لَهُ لا يُتَوَقَّعُ مِنهُ مَنفَعَة .

قالَ السائِل: فاهدِني مِن ذَلِك إلى ما لا يَكون على الصورَة بهِ شناع إذا قلتهُ عِندَ الجاهِل وأعطني ما يَصِّحُّ بهِ عَقلي ولا يَقَع عليَّ فيهِ جَدَل بالباطِل وأعطني مِن أصولِ التوحيد ما يَنفي عَنِّي وهمي وتَطيبُ بهِ نَفسي ويُذهِب عَن فِكري .

قالَ العالِم: نَعَم إذا سَألتَ أيُّها السائِل عَن ذَلِك فافهَم واعلَم: أنَّ الصورَة على خَمسَةِ أجزاء،والأبدان على خَمسَةِ أجزاء لا سادِسَ لَها ولا رَابِعَ لَها فإذا عَرفتَ ذَلِكَ رُفِعَت عَنكَ الشُبهَة وتَكَلَّمتَ بالحِجَّة وحَبستَ عَنكَ الجهلَة وذَلِكَ كمالُ ما تَعرِف بهِ الحَقَّ والبيان .

فأوَّلُ وجهٍ مِنَ الأجسام فإنَّهُ بَسيطٌ ذو جِهَةٍ واحِدَة وإذا كانَ مُتَفَرِّقاً ذا وحدانيَّة يدرك بِحاسَّةٍ واحِدَة فهوَ جِسمٌ مُنفَرِدٌ واحِدٌ لا ثاني مَعَهُ وإذا كانا جِسمين مُجتَمِعين كانا ذي جِهَتين تُدرَكان بِحاسّتين فإذا كانَت ثلاثُ أجسام تُدرَكُ بِثلاثِ حواس فأمَّا الأجسامُ المَخلوقَة فَتُدرَكُ بِثلاثِ حواس تُدرَكُ بالطَّعمِ وتُدرَكُ بالحِسِّ وتُدرَكُ باللونِ وما أدركت الأجسام المتجاوزَة الحواسُ الأربَع فهيَ أجسامُ تَجاوز وتَجِد لَها الطَّعمَ والرَّائِحَة والصَّوت

والحس فإذا كانَ الحس ذو جِهَتين تُدرَك بِحاسَّتين فهوَ جِنسان مُختَلِفان كاختِلافِ الحاسَّتين وكذَلِكَ إذا كانَت ثَلاثَة أجسامٍ مُتَجاوِزَة كانَ كُلُّ جِسمٍ ذو ثلاثَةِ جِهات كانَت ثَلاثَةُ أجسامٍ مُتَجاوزَة وإذا كانَت أربَعُ جِهات كانَت أربَعَةُ أجسام مُتَجاوِزَة فلِذَلِكَ أنَّ الحاسَّة لا تُدرَك إلا بالحس واختِلافِ الحواس يَدِلُّ على اختِلافِ الأجسام وذَلِكَ أنَّ كُل حاسَّة لَها جَسم مُنفَرِد فإذا أدرك الشيء بجميعِ الحواس كانَ جهاتها والجِهات الأجسام والأجسامُ أربَعَة لِكُلِّ طَبيعَة جِهَة لكُلِّ جِسمٍ جِهَة: جِهَةُ الصَّوت وجِهَةُ الرائِحَة وجِهَةُ الطَّعم وجِهَةُ الحِس ولِكُلِّ شبهٍ مِن هَذهِ جِسم فهيَ أجسام تَفَرَّقت في الحواس واَجتَمعت في المكان فلو كانَ الجسم الذي يَسمَع كانَ الجِسم الذي يَشُم لكانَ الإنسانُ إذا سَمِعَ شيء ودَريَ أيُّ شيءٍ رائِحَتهُ ويَشُم ولا يَدري أيُّ شيءٍ صوتَهُ ويذوق ولا يَدري أيُّ شيءٍ صوتَهُ ولا أيُّ شيءٍ رائِحَتهُ وذَلِكَ أنَّ الأعمى قَد يَسمَع الصَّوت ولا يَشُمُّ الرائِحَة ويَلبَسُ الثوبَ فيَدري أخَشِن أم ليِّن،وقَد يَلبَس الخَشِن واللِيِّن فيعلَم أنَّهُ بحاسَّتهِ التي هيَ حاسَّتهُ ليِّن أم خَشِن ولا يَجوزُ أن يَقول سَمِعْتُ خشونَة أو سَمِعتُ ليونَة فهَذهِ أجسامٌ مُنفَرِدَة الحواس مُجتَمِعَةٌ في العِبارَة وذَلِكَ أنَّهُ ليسَ شيئ مِن جِسم يرى إلا ولَهُ تَحتٌ وفوق ويَمينٌ وشِمال وهيَ

الأجسـامُ المُختَلِفَـة فذَلِكَ حَـدُّ الأجسـام فـي هَـذهِ الجِهـات الأربَـع بالمُجاورَة وهيَ حَدُّ الأجسام المَخلوقَة المُجتَمِعَة.

قالَ السائِل: فإن كانَت هَذهِ الحواس ليسَت بأجسام.

قالَ العالِم: وإن كانَت أجسام ليسَت بأعراض .

قالَ السائِل: دَلَلتَني على أنَّها أعراض لأنَّ كُلَّ حاسَّة لا تُدرِكُ كُلَّ واحِدٍ مِنهُا إلا بِها فهَل تَدُلَّني علـى أنَّهـا تتَغيَّر أو لا تتَغيَّر بتغيِّر الجسم ويكونُ لكُلِّ واحِد عقبٌ يُشبِهُ عقبه والجِسمُ لا عقبَ لَـهُ إلا الفَناء .

قالَ العالِم: دَللتَني علـى أنَّهـا أجسامٌ لَهـا أركـان لِكُلِّ واحدٍ مِنهـا عقب ولو لَمْ تَكُن كأن لا تكونَ شيء إذ لَمْ يَكُن عقبه فهَذا حَدُّ الأجسام لأنك أيُّها السائِل زَعمتَ أنَّ ما لا عقب لَهُ هو جسم فلمَّا كـانَ الشـيء عقبـه غيرَهُ جـازَ أن لا يَكونَ عقبـاً لأنَّ الشـيء إذا جـازَ أن لا يَجـيء يجوز أن يَجـيء فقَد شَـهِدتَ أيُّهـا السـائِل أنَّ الأعراض أجسام .

قـالَ السـائِل: هذا حَدُّ الأجسـام أيجـوز أن يكـون مجسـماً كجسـم الخلق ؟

قالَ العالِم: لا،كيفَ يجوز ولِكُلِّ واحدٍ مِنهُما عقب واجتِمـاعٌ فـي المواضِـع وافتِـراقٌ فـي الحـواس وأنَّ الخـالِق لا يُدْرَكُ شَمَّاً فيكـون

رائِحَـة ولا يُـدرَكُ بـالأذُن فيكـون صـوتاً ولا يُـدرَكُ بالـذوق فيكـون طَعماً ولا يدرَكُ بـالحسّ فيكون خشونَة ولينَـة وهذا حَدُّ الأجسامِ المَخلوقَة المُتَجاوِرَةُ في الأمكِنَة المُختَلِفَةُ في الحواس.

قالَ السائِل: فإذا أخرَجتَ الخالِق مِن هَذا الحَد أخرَجتَـهُ مِن حَدِّ الأجسـام ومِـن حَـدِّ الأعـراض وذَلِـكَ أنَّ الأعـراض تُـدرَكُ بهَـذهِ الجِهات الأربَع .

قالَ العالِم: فإنَّهُ ليسَ يَحتاج إلى أن يَخرُج وليسَ بخارِج مِن حَدِّ الأجسام وهوَ خارِج مِن حَدِّ الأعراض لأنَّـهُ يحدّ بغيرِ هَذا الحَد وهوَ حَدّ لا فـي حَدّ إذا كـانَ الخـالِق ليسَ هوَ طَعمٌ ولا لـون ولا رائِحَة ولا صوت ولكِنَّهُ جِسمٌ أحَّد مُنفَرِد خاص بالوحدانيَّة القَديمَـة الأزَليَّة يُدرَكُ بالعيان وما أُدرِكَ بالعيان وليسَ هوَ لـون ولا رائِحَـة ولا صوت ولا طَعم ولَكِنَّهُ موجودٌ بالعيان والعيان قَد يُدرِكُ الخالِق والمَخلـوق بجِهَـةٍ واحِدَة وليـسَ الخـالِق والمَخلـوق جِهَـة واحِـدَة وذَلِكَ أنَّ العيانَ قَد يرى الصغيرَ والكبير والذَكَرَ والأنثى والنُقصانَ والزِيـادَة والليـلَ والنَّهـار والفـوقَ والتَّحـت والسَّـمَع لا يُـدرِكُ إلا الصوت وحدَهُ وكذَلِكَ الأنف لايُدرِكُ إلا الشَم وحدَهُ وكذَلِكَ الفَم لا يدرِكُ إلا الذوق والطَّعم وحدَهُ وكذَلِكَ الحسّ واللَّمس لا يدرِكُ إلا خشونَةً ولين والعيان يُدرِكُ الأجسامَ المُتَفَرِّقَة والمُجتَمِعَة وقَد يَرى

الجِسمَ المُتَجاوِز للجِسم الذي لَهُ تَحتٌ وفوق ويمين وشِمال وقَد يَرى الأجسامَ المُنفَرِدَة التي لا طويلَة ولا عَريضَة مِثلَ الهواء ومِثلَ ضياءِ الشَّمس والقَمَر ومِثلَ الليلِ والنَّهار لا تَحتَ لَهُ ولا فوق ولا يمين ولا شِمال ولا حَدَّ لَهُ ولا صوت ولا طَعم ولا حس مِن خشونَة ولين وإن البَصَر مُدرِكٌ لِهَذِهِ الأشياء كلِّها ولا يدركها من الحواس غير البَصَر والحواسُ لا تدرِكُ إلا كُلّ جسمٍ على حالِهِ مِنَ الأجسامِ المُتَجَاوِزَة فأمَّا الأجسامُ المُنفَرِدَة فلا تراها العَين فهذا حَدُّ الأجسامِ في الحواس فما أدرَكَتهُ العين فهو على أربَعَةِ وجوه مِنَ الأجسامِ الكَثيفَة فوق وتَحت ويمين وشِمال وتَرى الأجسامَ الرَّفيعَة في غايَةِ الرِّقَّة التي لا تَحجُب بَعضَها عَن بَعض ولا تَقَعُ عَليها الصَّوَر فهَذا حَدُّ الجِسمين وما أشبَهُها مِنَ الأجسام،والأجسامُ الرَّفيعَة في الدُنيا التي شاهدتها العيان لا صورَةَ لَها،ولَكِن لَها جوهَر وهيئَة والأجسامُ المُتَكاثِفَة لَها هيئَة وجوهَر فهَذا حَدُّ هذين الجِسمين المدبرين المَخلوقين،فَفَضلُ العينين على الجوارِح كفَضلِ الرَبِّ على العَبد وذَلِكَ أنَّ العينان تُبصِرُ ما تُدركهُ الحواس ولا تُدرِكُ الحواسُ ما تُبصِرُ العينين .

كذَلِكَ فَضلُ الجسمين الأذنين بجهاتٍ وصورَة على الأجسامِ التي ليسَ لَها جهاتٌ ولا صورَة والجِسمُ المُنفَرِد القَديمُ الخالِق لَهُ

صورَة وهيئَـة بالسمعِ والبَصر والفؤاد والرُّوحُ هيئَـة وأمَّا صـورَتهُ فـالنَفس والنطق والـروح والإرادَة والمَشيئَة فـي التَقـدير والفَضـل كيفَ شاء بِما شـاء لا يَكرَهُ على ذَلِك فهَذهِ هيئَتـهُ فـي التوحيد بالربوبيَّة يَجِب لَـهُ ذَلِك بِصِفَةِ الكَمـال عَن صِفَة العَجز وذَلِكَ أنَّ مَن لَهُ عينان ليسَ كمَن لَـهُ عينٌ واحِدَة ومَن ليسَ لَـهُ إلا عين ليـسَ هوَ كَمَن لا عيـنَ لَـهُ وكذَلِكَ فَضَّلَ جميـعَ مـا ذَكرنـاه مِمَّن يوصَفُ بالكَمال على ما يوصَفُ بالعَجز في بَعضِ الحواس .

وأمَّا الجِسم الخامِس فهوَ جِسمُ النَقلَة ذو جِهاتٍ أربَع يَحسَبهُ مَن يراهُ مَخلوقاً حتَّـى يُظهِر الجِهَـة الواحِدَة النَّاطِقَـة الفاخِرَة السَّاميَة العاليَة فهيَ جِهَـةٌ واحِدَة بهَذهِ الصِفات فكيفَ يُشبِهُها صِفَة أو جِسم أو هيئَة .

ثُمَّ قـالَ العـالِم للسـائِل: خُـذ مـا أعطيتُـكَ بشُـكرٍ فقَـد فَصلتُ لَـكَ الخـالِقَ مِنَ المَخلـوق والـرَبَّ مِـنَ المَربـوب تَفصيلاً واضِحـاً وبيَنـتُ لَكَ ذَلِك وهديتُكَ إليـهِ وأخبَرتُكَ بصِفَةِ الصِفَة المُحدَثَـة عَن القِدَم وصِفَةُ الأجسَام .

قـالَ السـائِل: أخبرنـي عَن صِفَةِ هَذهِ الأجسـام وتَركيبِهـا وانفِـرادِ الجِسمِ الواحِـد وتَركيـب الأشـخاصِ عِنـدَهُ والبيـوت الـتي يَسكُنُها والمواضِع التي يَنطِقُ مِنها وما جوهَرُ نَفعهِ وما جوهَرُ حياتهِ وما

جوهَرُ إرادَتـهِ وما جوهَرُ قضـائِهِ وتِلكَ الجواهِرُ قديمَـة أم حَديثَـة فإن قُلتَ أيُّها العالِمِ أنَّها جواهِرَ قَديمَـة،لم يَكُن شيئاً قَبلـه فما عِلَّةُ الإرادَةِ مَعَهُ والمشيئَة والقَضاء والأمر والقدر والكلامِ والنَفس والتَقدير وإذا زَعمتَ أنَّها مُحدَثَـة مُنفصِلَة مِنـهُ فليسَ هـيَ إرادَتـهُ ولا مشيئَتهُ ولا قضائِهِ ولا تَقديرِهِ لأنَّ ما تقَدَمتَهُ فليسَ مِن جوهَرِهِ وهَذهِ الجواهِرُ فيـه أو مِنـهُ فإن كانَت مَعهُ قَديمـة فهـيَ لَـهُ وإن كانَت غيرهُ فليسَت هيَ لَهُ فيما وصفتَهُ لي أفهِمني ذَلِك وبيِّنهُ لـي وعَرِّفني ذَلِك كما عَرَّفتَني حَدَّ الأجسام لأفهَمَها وأتَقَرَّب بِها إلى رَبِّي وأعرِف كيفَ أعبُدَهُ وإياه .

قالَ العالِم: سألتَ فافهَم وتَفَقَّهتَ فاعلم وابصِر إذا عَقِلت فإنَّـهُ لا بَصَرَ إلا بفِكر ولا فِكرَ إلا بِعَقل ولا عَقلَ إلا بِبَصيرَة ولا بَصيرَة إلا برَحمَة ولا رَحمَة إلا بتَأييدِ الرُّوح والرِّيح فما كانَ مِن تَأييدِ الريح فهوَ ما وافَقتُكَ عَليهِ مِنَ الفكر وما كانَ مِن تَأييدِ الرُّوح فهوَ ما أوقَعَ عَليهِ الأنبياء مِنَ الجواب وما كانَ مِنَ الجوهَر فهوَ ما وَقَعَ عَليهِ الرَسول مِنَ الحُجَج وما كانَ مِنَ الربوبيَّة فهوَ ما أظهَرَتـهُ الرسُل مِنَ الآياتِ والدلالات التي لا يُمكِن لأحَّدٍ أن يأتي بِها ولا بمِثلِها في الدُنيا والآخِرَة وذَلِكَ شيءٌ واحِد وصِفاتُ جوهَرِهِ ما أخبَرتُكَ بهِ ثُمَّ أعودُ إلى تفسيرِ ذَلك بِمِنَّةِ اللَّه وعونِهِ.

اعلم أنَّ لِكُلِّ جوهرٍ صفات وهيئَة فأمَّا هيئَةُ الجوهَر ما ليسَ لَهُ عقب أي لا يَعقُب شيئَاً آخَر وأمَّا صِفاتَهُ فكانَ لَهُ عقب يكونُ ذَلِكَ في المَخلوقِ والخالِق سوَاء مثل قولهِ نورُ النور جوهَرُ الضِياء لا عَقبَ لَهُ لأنَّ الضياء لا يكونُ مكانَهُ ظُلمَة ولو كانَ مكانَهُ ظُلمَة لكانَ النورُ مُظلِماً في بَعضِ الأوقات ولو كانَ مُظلِماً لكانَت ظُلمَتَهُ تحولُ عَن ضيائِهِ ولا يكونُ لَهُ كيانُ النور .

وكذَلِكَ النَعت وكذَلِكَ الظُلمَة ومن نعته الكلام فلو جازَ أن يُفارِقها الظلام حتَّى تصيرَ ضياء لصارَت نوراً فكذَلِكَ كيانها وجوهَرها فهذا نَعتُ العَقب فاقتَصِر على نَعتِ فإن كانَ هَذا سبيلَهُ فهوَ نَعت وأمَّا الصِفَة،فهوَ يجوز أن يكون ويجوز أن لا يكون.

قالَ السائِل: وما مثل ذَلِك ؟

قالَ العالِم: مثل الحركات والألوان والطَعوم والنَقلَة يجوزُ أن يكون ويجوز أن لا يَكون والجوهَر على هيئتهِ وكذَلِكَ الخالِق والمَخلوق مِثل الفِضَّة والذَهَب والطين فجوهَرُ الذَهب الاحمرار وجوهَرُ الفِضَّة البياض وجوهَرُ الطين الغَبرَة فكذَلِكَ جوهَرُ كُلِّ نوعٍ مِن هَذهِ الجواهِر .

قَد تؤخَذُ الفِضَّة فيُجعَلُ مِنها السوار والخاتَم والقِلادَة فلا يَذهَب جوهَرُ الفِضَّة ولا يتَغيَّرُ عَن كيانهِ،وكذَلِكَ الذَهَب،وكذَلِكَ الطين

يُجعَلُ على هيئاتٍ شَتَّى ثُمَّ يُكسَر فيُجعَلُ على هيئاتٍ أخرى فلا يَذهَبُ جوهَرهُ ولا كيانَـهُ ولا هيئته في الجواهِر وإن اختَلَفَت عليه هيئَاتُ القِسمَة فنَعتُ جوهَرِهِ واحِد مِن بياضٍ وحُمرَةٍ وغيرُ ذَلِك ولَمْ يَنقُص مِن ذَلِكَ شيئاً مِن جوهرِهِ وكذَلِكَ بَطُلَت الصِفات الدَاخِلات عليه ليسَت مِن جِنسهِ وكذَلِكَ النَعتُ مِن جِنسِ الجوهَر والصِفَةُ ليسَ مِن جِنسِها بُطلانُ الصِفات وإثباتُ النعوت وذَلِكَ أنَّ الأجسامَ التي ليسَت لَها صورَة ولا نَقلَة فيها ولا صورَةَ لَها لها هيئاتٌ وجوهَر .

وأمَّا ما سألتَ عَنهُ مِنَ الإرادَة: فالإرادَةُ إرادَتان إرادَةٌ هيَ الهيئَة وإرادةٌ هيَ الصِفَة .

فأمَّا الإرادَةُ التي هيَ الهيئَة فهي التي لا منع للنَفسِ عنها بقولِ النَفس يكونُ ولا يكون حَرَكَة النَفس إلا بِذَلِك وذَلِكَ أنَّ النَفسَ مُتَحَرِّكَة في النومِ واليَقَظَة وذَلِكَ أنَّها قَد تَرى في النومِ أو خِلافَهُ كما تَرى في اليَقَظَة فهذهِ إرادَةُ الحَرَكَة اللازِمَة وهيَ الجِنس في الجوهَر كبياضِ الفِضَّة في الفِضَّة وحُمرَةِ الذَّهَب في الذَهَب وغَبرَة الطين في الطين لا يَفتَرِقُ واحِدٌ مِنهُمْ عَن صاحِبهِ وإرادَته كنفسهِ تَسمَع ما تَسمَع وتُبصِر ما تُبصِر وتَشُمُّ ما تَشُم وتذوقُ ما تَذوق فتؤَدي الحواس وذَلِكَ أنَّ النَفس فتَحدثُ إرادتهُ بَعدَ إذ لَمْ يَكُن

يَعلَمُها فأمَّا أن يقبَلَها وأمَّا أن يَدفَعَها بِعَزمٍ فيها مِنَ الإرادَة على الدَفعِ والقبول فهَذهِ إرادَةٌ مُحدَثَة وأمَّا إرادَةُ الهيئَة فما يكونُ في النَفسِ تؤَديها النَفسُ إلى الجوارِح ممَّا تكونُ تَعلمهُ فتَقبَلَهُ أو تَدفَعَهُ وأمَّا إرادَةُ الهيئَة فهيَ نَعتُ الجوهَر وهيَ تَركيبَهُ والصِفَة للجوهَر ليسَت لتركيبه والإرادَةُ المُحدَثَة تردّ الحواس مِن قَبلِ أن ترد على النَفسِ عِلمَ اليقين فهيَ صِفَةُ الإرادَة ومحلها جميعها في النَفس لا في غيرها وكذَلِكَ الكلام كلامان كلامُ النَعت وكلامُ الصِفَة .

فأمَّا كلامُ النَعت فهوَ الذي لا يَمنَعُ الرُّوح أن ترد نفسها بِما يكون أولا يَكون فيُقالُ إن كانَ كذا وكذا كانَ كذا وكذا وإن لَمْ يَكُن كَذا وكذا لَمْ يَكُن كَذا وكَذا فذاكَ كلامُ النَعت وجوهَرُ المُتَكَلِّم وكلامُ الشيء هوَ صِفَة وتقولُ أفعَل أو لا أفعل ولا تَفعَل لغيرهِ أذهَب أو لا تَذهَب ويُقالُ لَهُ ما تقولُ في كَذا وكَذا تؤَديهِ الجوارِح كما أدَّت صِفَةُ الإرادَة وكذَلِكَ أدَّت صِفَةُ الكلام فالحيُّ مِن جوهَرِهِ الإرادَةُ والكلام إن كانَ قَديماً فهذهِ هيَ هيئَتهُ وإن كانَ مُحدَثاً فهذهِ هيَ هيئَتهُ فنَعتُ الإرادَةِ والكلام على جِهَتين جِهَةٌ على نَعتِ الجوهَر وعلى صَفته .

جِهَةُ الجوهَر مِنَ الإرادَةِ والكلام،والمحدث ما تؤَديهِ الحواس مِن

غيركَ إليك أو مِنكَ إلى غيرِك كإرادَةِ الجوهَر مِنهُ إليه وأحاطَت بهِ نفسهُ فهوَ النَعت وقَد يكونُ الشيء بِلا صِفَة وقَد يكونُ الشيء بِلا ضِدّ ولا يكونُ شيء إلا ولَهُ نَعت لا يوجَدُ إلا بنَعتِهِ وقَد يوجَدُ بِلا صِفَة

قالَ السائِل: اضرِب لي في ذَلِكَ مَثَلاً .

قالَ العالِم: ومثلُ ذَلِكَ قَد تَرى الحيَّ ساكِتاً ثُمَّ تراهُ مُتَكَلِّماً فبكلامهِ عرفنا إرادَتَهُ وإرادَتهُ كانَت قَبلَ كلامهِ فيه،ويكونُ مريداً غيرَ مُتَكَلِّم ولا يكونُ مُتَكَلِّماً حتَّى يكون مُريداً غيرَهُ فمِن نَعتهِ الإرادَة ومِن صِفَتهِ الكلام ومِن هيئَتهِ الجوهَريَّة وذَلِكَ في كُلِّ حيّ .

قالَ: والكَلامُ يَدِلُّ على أمرين هُما أمرٌ ونَهي فما كان على أمرٍ ونهي فهوَ ما خاطَبَ بهِ الجوهَر للجوهَر في نَفسهِ وهوَ كلامُ الجوهَر وإرادَةُ الجوهَر بما قالَ الجوهَر أعزمُ عليهِ أولا أعزمُ عليه أكونهُ أو لا أكونهُ كالعَزيمَةِ والتأنّي .

قالَ السَّائِل: اضرِب لي في ذَلِكَ مَثَلاً.

قالَ العالِم: المَثَلُ في ذَلِك أن يقولَ الرَجلُ للرَجُل افعَل أو لا تَفعَل فدَلَّ على كلامِ جوهَرِه،ومِثلُ قولهِ نبئني بكذا وكذا واسمعني كذا وكذا فدَلَّ على الإرادَة.

قالَ السَّائِل: قَد عَلِمتُ أنَّ مَحَلَّ الإرادَة مِنَ النَفس في الخالِق

والمَخلوق والصِفَة والنَعت.

قالَ العالِم: نَعَم .

قالَ السَّائِل: قَد أخبَرتَني بنَعتِ مَحَلِّ الصِفَة المؤَديَة بالحواس والجِنس بالكلامِ الجِنسي والكلام الوصفي أينَ يحلان ؟

قالَ العالِم: يحلانِ في الجوهَر حَتَّى يؤَديهِ أما ترى أنَّهُ يعينُ بِقَلبهِ الكَلامَ ثُمَّ يَقطَعُهُ بلُهاتِهِ ثُمَّ يُخرِجَهُ بِلسانِهِ فالإرادَةُ والكَلام يَحِلان مَحل واحِد في الجواهِر والتَأديَة،ولا يحلان على الجوهَر في النَعتِ والصِفَة .

قالَ السَّائِل: اضرِب في ذَلِكَ مَثَلاً .

قالَ العالِم: نَعَمْ أما تَرى الشّمسَ مُضيئَة، ومِن جوهَرِها الضياء، والنَفسُ حيَّة، ومِن جوهَرِها الحياة.

أما تَرى الشّمسَ مُتَحَرِّكَة ومِن جوهَرِها الحَرَكَة أ ما تَرى النَفسَ لا تُفارِقها الإرادَة لأنَّ مِن جوهَرِها الإرادَة وهيَ حرَكَةُ النَفس فَكُلُّ نَفسٍ لا مُريدَة فهيَ النيَّة،والنيَّة الإرادَة عقِب للقولِ المَعقول فذَلِكَ جوهَرُها في النيَّة في المَخلوقِ،والإرادَة النيَّة فيهِ أيضاً لأنَّهُ يُريدُ الشيء فلا يَقَعُ عَليه ويُريدُ أن يَمتَنِعَ مِنَ الشيء فلا يَقدِر عليه وإرادَةُ الجوهَرِ القَديم إرادَةٌ لا نيَّة معها مِنَ الإرادَة لأنَّهُ لا يُريدُ شيئَاً إلا نالَهُ بالإرادَة ولا يُريدُ دَفعَ شيئاً إلا دَفَعَهُ فهاتان الإرادتان

نَعتـان لا صِـفتان للجوهَـرين الجوهَـر القَـديم والجوهَـر المُحـدَث فظهورُ القَديم في الجوهَرِ المُحدَث بالقُدرَة والمَشيئَة .

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن هَذهِ الصِفات المُحدَثات القائِمات باللَّـه ما هيَ أخالِقات أم مَخلوقات ؟

قالَ العالِم: فلو كنَّ خالِقات كُنَّ قديمات ولو كُنَّ قَديمات لشارَكنَ القَديم ولو شاركن القديم لكُنَّ مِثلَهُ وليسَ هي صِفاتهُ،فقَد يَحتاجُ إليه في باب لا خالِقات ولا مَخلوقات

قالَ السَّائِل: فَهُنَّ إذاً مَخلوقات أو هُنَّ مُنفَرِدات مَقطوعات عَن الخالِق مِمَّا هُنَّ.

قالَ العالِم: يَجرينَ مَجراهُنَّ وهنَّ كأسمائهنَّ وهُنَّ مِن صِفاتِ الخالِق وليسَ هُنَّ مِن صِفاتِ الخَلق لا يُقالُ لَهُنَّ خالِقات ولا مَخلوقات وليسَ بِمُنفَرِدات،لأنَّهُ لا صِفَة إلا بواصِف،فَصِفَةُ الخالِق لا خالِقَة ولا مَخلوقَة.

قالَ السَّائِل: فما هيَ ؟

قالَ العالِم: هُنَّ صِفات .

قالَ السَّائِل: فمِمَّ يَدخُلنَّ ومِمَّ يَخرجن ؟

قالَ العالِم: يَدخُلنَ مِن بابِ الصِّفات ويخرُجنَ من الموصوفات وذَلِكَ أنَّ الموصوف لَهُ صِفَة وليسَ للصِفَةِ صِفَة ولا يَجري عَليها

أنَّها مَخلوقَة لأنَّ المَخلوق جِسمٌ بِذاتِهِ وبهيئَتِهِ وصِفاتِهِ.
قالَ السَّائِل: فالصِفات إذْ لَمْ يَقَع حَدُّ الموصوفات عليها فَلِم تُسَمِّيها باسمِ الموصوفات ؟
قالَ العالِم: لأنَّ الاسمَ على جِهَتين اسمُ الشيء هوَ الشيء وهوَ جوهَرهُ واسمٌ للشيء غيرُ الشيء لا هوَ جوهَرُهُ بعينهِ ولا غيرُهُ.
قالَ السَّائِل: فما الجوهَر الذي اسمهُ هو هو .
قالَ العالِم: إنسان وسَماء وأرض وبَحر وما أشبَهُ ذَلِك وشمَسٌ وقَمَر وذَلِكَ إذا قيل أي شيء الإنسان قُلتَ هوَ الإنسان وكذَلِكَ تَقولُ في سائِرِ الأشياء أي شيء هيَ تقول كذا وكذا وتَرد الاسم إلى المعنى والمَعنى إلى الاسم فإذا قالَ القائِل ما اسمُ الإنسان قُلتَ: عَبدُ اللَّه،موسى وعيسى،ولا يَجوز أن يَجعَل اسمُ إنسان جماد كما يَجعَل اسم موسى وعيسى وعَبد اللَّه وكذَلِكَ الجوهَر كُلَّهُ إلا النعوتَ والصِفات لأنَّها ليسَت لَها أسماء إلا معانيها فكذَلِكَ في غيرِ حَدِّ الجوهَر وذَلِكَ إنَّكَ تقول أي شيء اسمُ الكلام فيُقالُ لَهُ كلام ويُقالُ أيُّ شيء اسمُ الإرادَة فتقول إرادَة لا نقول موسى ولا عيسى ولا عَبدُ اللَّه،فهيَ أسماء ولا تُنقَل عَن أسمائِها.
قالَ السَّائِل: فما اسمُ الصِفات في معانيها كما اسمُ الجوهَر في

معانيه .

قالَ العالِم: لأنَّها في الجوهَر كانَت ومِن الجوهَرِ توَلَّدَت وليسَ هيَ غير الجوهَر فلَحِقَت باسمهِ ولَمْ يَكُن غيرهُ فيكونُ لها اسمُ غيرِها كما أنَّهُ ليسَ للجوهَرِ اسمٌ غيرُهُ فيكون اسمهُ غيرهُ .

قالَ السَّائِل: فَلِمَ يُقالُ أنَّ الكلامَ غير الإرادَة والعِلمُ غيرُ الجَهل فيَدخلُ عليهِ التغايُر فيحتاجُ إلى أسماء هيَ غيرها ؟

قالَ العالِم: التَغايُر غيران فغيرٌ هوَ في الجِنس وغيرٌ هوَ في الأسماء فما كانَ الغيرُ في الجِنس فهوَ الجِنس وما كانَ الغير في هذا الاسم فهوَ الصِفة،فالصِفَة غيرُ الاسم وليسَ هيَ في الجِنس لأنَّهُ لا جِنسَ لَها .

قالَ السَّائِل: فإنَّما نرى الجوهَر بعضهُ غير بعض.

قالَ العالِم: نَعَمْ الفَرقُ بينَ ذَلِك أنَّ العِلم علَّمَ العالَم وليسَ العالَم عَلَّمَ العِلم والإرادَة إرادَةُ المُريد وليسَ المريد إرادةُ الإرادَة وكذَلِكَ في الكلام وفي جميعِ الصِفاتِ والنعوت.

قالَ السَّائِل: فالخَلقُ خِلْقَةُ الخالِق وليسَ الخالِق خِلقَةَ الخَلق وقَد وقَعَ عليهِ التغايُر.

فقالَ العالِم: لأنَّ الخلقَ والخالِق مُتغايران بجوهرهما وصِفاتِهما والصِفات مُتغايرات في مَعنى القول لا في الجوهَر .

قالَ السَّائِل: كُلٌّ واحِدٍ مِنَ الصِفاتِ خلافُ صاحبهِ وكذَلِكَ الأجسامِ بعضها خلافُ معنى بعض.

قـالَ العـالِم: إنَّ للأجسـام صِـفات،وليسَ للصِـفات صِـفات ومِـنَ الصِـفات مـا هـيَ أفاعيـل الخـالِق والمَخلـوق وليـسَ الخالِـق والمَخلوق أفاعيلُ الصِفات .

قالَ السَّائِل: اضرِب لي بِها مَثَلاً .

قالَ العالِم: رَجُلٌ صَفَّرَ ثوبَهُ ثُمَّ حَمَّرَهُ،قَدر أن يَجعَل مكانَ الصُفرَة حُمرَة،ولَمْ يَقدِر أن يَجعَل مكانَ نَفسهِ غيرهُ،والجوهَر لا يَقدِر أن يَجعَل مكانَ نفسهِ غيرهُ،والجوهَر يَقدِر أن يَجعَل مكانَ الكلامِ إرادَة ومكـان الفـرَح حـزن ومكـان الطَّاعَـة مَعصيَة وهـذا حَـدُّ الصِـفَة والموصوف.

قالَ السَّائِل: فاجعَل الصِفات التي في الخالِق قديمات ومُحدَثات.

قالَ العالِم: أوليسَ قَد وصفتهُ لَك هذا كُلَّهُ مَرَّة.

قالَ السَّائِل: بلى إلا أنَّك لَمْ تُسمِّيها باسمِ المُحدَثات وكيفَ يكونُ مُحدَثاً في قَديم .

قالَ العالِم: لَمْ أقُل لكَ أنَّهُ مُحدَث في قَديم لأنَّ القَديم لَمْ يرده أن يكونَ فيه،ولَكِنَّ القَديم أرادَ أن يَكونَ في المُحدَث فكانَ والكون ليسَ في القَديم وإنَّما إرادَةُ القَديمِ فيه .

قالَ السَّائِل: فيلزَم عليَّ القول أن يكونَ القَديمُ في المُحدَث كما كانَ المُحدَثُ في القَديم .

قالَ العالِم: ذَلِكَ يكونُ إذا أرادَ القَديم أن يَكونَ ذَلِك كما كانَت الإرادَة مُحدَثَة وهيَ في القَديم لَمْ تَضرهُ ولَمْ يتَغيَّر

قالَ السَّائِل: وكذا الإرادَة إذا كانَت في المُحدَث لَمْ تَضرهُ ولَمْ يَتَغيَّر إلا أن تَمَّ الاستثناء لَك .

قالَ العالِم: أيُّها السَّائِل حَدثني بسلاحي إلا أنَّ لكَ في ذَلِكَ شيء إن أنتَ سَألتَ عَنهُ .

قالَ السَّائِل: أعرف ذَلِكَ في موضعهِ .

قالَ العالِم: فاسأل إن كُنتَ تَعرِف موضِع السؤال .

قالَ السَّائِل: نَعَم إنَّ هَذهِ صفَة غير الرَبّ حَلَّت في الرَب،وليسَت هيَ غيرهُ،وكذَلِكَ غيرهُ،وكذَلِكَ حَلَّ الرَب في صِفَة وليسَ هوَ غيرها .

قالَ العالِم: إنَّ الموصوفين بحلولِ الصِفات وليسَ الصِفات بحلولِ الموصوفين فتكون الصِفات موصوفات

قالَ السَّائِل: اضرِب لي في ذَلِكَ مَثَلاً .

قالَ العالِم: إنَّ البَدَنَ موضِع الرُّوح وليسَ الرُّوح موضِعَ البَدَن والضياء مَعرِفَةُ الشَّمس وليسَ الضياء موضِعَ الشَمس كما أنَّ

البَدَنَ موضِعَ الرُّوح.

قالَ السَّائِل: يَنبَغي أن يَجعَل الصِفات المُحدَثات للقَديمِ الأزَل ولا تَجعَل القَديم الجوهَر للجواهِر المُحدَثَة بِخلافِ الصِفَة ويَجعَل الجوهَر القَديم للجوهَر المُحدَث ويُحِلان الصِفَة والجوهَر مَحَل واحِد .

قالَ العالِم: إنَّ الحلولَ حلولان يَتّفِقان في بابِ المُحدَث ولا يَختَلِفان في بابِ الجوهَر وذَلِكَ أنَّ الصِفات وافَقَت الجوهَر في بابِ المُحدَث ولَمْ يوافقها في بابِ الجوهَر كذَلِكَ اللَّه حَلَّ فيما يشاءُ في الأشياءِ بالصِفات والجوهَر القَديم بالصِفات.

قالَ السَّائِل: وكيفَ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: إنَّ اللَّه أرادَ أن يَنتَقِل بالإرادَة المُحدَثَة في الصِفَة ثُمَّ انتَقَلَ بَعدَ الإرادَة إلى الموضِع الذي لَمْ يَنتَقِل وإنَّما انتَقَلَ الجوهَر بالصِفَة وكذَلِكَ كانَت نَقلَتُهُ في الأنبياءِ ـ عليهِم السّلام ـ فهوَ بغيرِ الصِفَة بالموضِع وهوَ بالصِفَة مُنتَقِل .

قالَ السَّائِل: وكيفَ حلولهُ بالأنبياء ـ عليهِم السّلام ـ وكيفَ نزولَهُ وكيفَ ارتِحالَهُ عَنهُم وكيفَ يكونُ الكَمال ؟

قالَ العالِم: إنَّ الملائِكَة رأت قُدرَةَ الرَّب فآمَنَت بِما رأت لَهُ مِنَ القُدرَة فحَلَّ في أرواحِها بقُدرتِهِ .

قــالَ الســائِل: فــي أرواحِ الملائِكَــة كُلِّهــا أم فــي بَعضِــها ؟ قالَ العالِم: لا بَل في أربَعَةٍ مِنَ الملائِكَة

وهُمْ المُدَبِرون الذي يَخرجُ على أيديهِم التَدبير لئلا يكون التَدبيرَ إلا للَّه ولكِن فوَّضَ اللَّه إليهِم الأمرَ واحتَجَبَ بأربَعَةٍ مِنهُمْ .

قالَ السَّائِل: فمَن هُمْ ؟

قالَ العالِم: من قسم على أيديهِم الخَسف والقَذف والغَرَق والزَلزَلَة وهُم رُسُل الرَّب إلى الأنبياء صلواتُ اللَّه عليهِم.

قالَ السَّائِل: فهوَ فيهِم دائِم أو يَحِلُّ فيهِم وقت بَعدَ وقت

قالَ العالِم: بَل يَحِلُّ بهِم وقت بَعدَ وقت.

قالَ السَّائِل: أتُسَمِّي لي ذَلِكَ المَلك ؟

قالَ العالِم: هوَ جبرائيلُ الرُّوح الأمين على وحي اللَّه فإذا أرادَ اللَّه أن يَخسِف بِقُدرَتِـهِ بقَريَـةٍ أو يُزَلزِلَهـا أو يُغرِقُهـا أو يُـدَمِّرُها يَحِلُّ قُدرَتَهُ في ذَلِكَ الملك حَتَّى يكون هوَ الذي يلي ذَلِكَ الفِعل.

والجاهِلُ يظُنُّ أنَّ ذَلِكَ الفِعل لِذَلِكَ الملك ولا يَدري أنَّـهُ لِرَبِّـهِ ـ جَلَّ وتَقَدَّسَ ـ وعلى يَديـهِ جرى لا علـى يَدِ غيرِهِ مِن ذَلِكَ الفعل فمِن ذَلِكَ أنَّ الملك الذي هوَ الحِجاب إذا أرادَ اللَّه أن يصوِّرَهُ في غيرِ صورَتِهِ أي بغيرِ صورَةِ جِبرائِيل فيجعَل لَـهُ مِنَ الاستطاعة أن يَفعَل فِعلَ الرَّب فذَلكَ صِفاتُ الرَّب يجريها على يَديه تَشريفاً لِذَلِكَ

الملك وكذَلِكَ الرّسول يجري فِعلَـهُ هذا المَجرى إذا أرسِلَ إلـى قومٍ وطَلبوا مِنـهُ فِعلَ قُدرَة فيَطلُب مِنَ اللَّـه التَقدير فيأمرُهُ اللَّـه بفعل تِلكَ القُدرَة فيفعَلها وتكونُ القُدرَة للَّه يُجريها علـى يدهِ تَشريفاً لَـه ليُطيعَ الخَلق ذَلِكَ النَبي ويُصَدِّقوهُ ويَعلموا أنَّـهُ مُرسَل إليهِم مِن عِندِ اللَّـه فيَخصُّ اللَّـه الرَسول بِما أخَصَّ اللَّـه ذَلِكَ المَلِك عِندَ إظهارهِ الخَسف والقَذف الذي يَجري على يَدِ جِبرائِيل .

قالَ السَّائِل: وهوَ إذا تَصوَّرَ في غيرِ صورَتهِ بغيرِ جبرائيل فيَجعَل لَهُ مِنَ الاستِطاعَة ما يَنتَقِل عَن هيئَتهِ ويعودُ إليها .

قالَ العالِم: هذهِ صِفَةٌ مِن صِفاتِ الرَّب ليسَت مِن صِفاتِ العَبد وإذا حَلَّ الـرَبُّ فيـه أو أرادَ أن يُظهِـر آيَـة لِـذَلِكَ النَـبي أو لِذَلِـكَ الرَسول الذي أرسَلَهُ اللَّه فيُغَيِّر صورتَهُ إلـى صورَةٍ أخرى ثُمَّ يَردُّ صورَتَهُ إلـى هيئَتـهِ إذا شاء حتَّى يَعرِف أنَّ ذَلِكَ الملك هوَ بيتُ اللَّـه الـذي أسكَنَ فيـهِ قُدرَتَـهُ فنَقَلَـهُ عَن هيئَتـهِ إلـى هيئَـةٍ أخـرى ليطمَـع ذَلِـكَ النَـبي أو ذَلِكَ الرَسـول أن يَخصَّـهُ اللَّـه بمثـل الـذي خَصَّ ذَلِكَ المَلِك مِنَ السكن فيـهِ فيتـأدَّبُ للَّـه فـي طاعَتـهِ وهَذا تفضل اللَّه وتأديبُ العِباد ويَحثهُم في ذَلِكَ الأدَب على طاعَتهِ .

قالَ السَّائِل: فمَن الملك الثانـي ؟

قالَ العالِم: هوَ إسرافيل الذي يَنفخُ في الصور فلو كـانَ المَخلوق

هـوَ الـذي يُحـيي العِظـام الباليَـة والأوصـال المُتَفَرِّقَـة والأرواحَ المُتَبَاينَة مِن أطرافِ البِلاد وأوسَطِها وتَحتَ التُراب لكانَ ذَلِكَ العَبد هوَ الملك الديان ولكِنَّ اللَّه يَنزِلُ بهِ تدبيرهُ وقدرتهُ ويَعدُّهُ بيتاً مِن بيوتهِ فالنَفخَة مِنَ الملك وإحياءِ الأموات مِن عِندِ اللَّه وهوَ جامِع هَذهِ الأشياء.

قالَ السَّائِل: ومَن الملك الثالِث ؟

قالَ العالِم: هوَ مَلِك الموت عزرائيل وهوَ الذي يقبُضُ في ساعَةٍ واحِدَة روحاً في المَغرِب وروحاً في المَشرِق على اتفاق الأمر والوقت والسَّاعَة ما بينَ طفل في بَطنِ أمه إلى رضيعٍ في حِجرها وإلى ناشئٍ مُتَكامِل أو شاب أو كَهل وإلى شيخٍ فانٍ وما بينَ ذَلِكَ على موتاتٍ مُختَلِفات ومَرَض وصَحَّة شأن مِن شأن ولِكِنَّ اللَّه حَلَّ فيهِ قُدرَتَهُ حتَّى يُميتَ الخلائِقَ على يَديهِ كما أحياهُم على نسبتهم بمشيئتهِ .

قالَ السَّائِل: فمَن الملك الرَّابِع ؟

قالَ العالِم: هوَ ميكائيل صاحِب اللوح المَحفوظ الذي فيهِ ما كانَ وما يكون إلى يومِ القيامَة فينبئ الملائِكَة بذَلِك فيَحتَجِب اللَّه بهِ حَتَّى يكون هوَ الذي يؤَدي عِلمَ تِلكَ الغيوب لا يؤَدِّيها غيرهُ.

قالَ السَّائِل: فللَّه حُجبٌ غيرها أولى مِنَ الملائِكَة .

قالَ العالِم: نَعَمْ لَهُ حجُبٌ لنَفسهِ خاص مِن نورهِ في كُلِّ سماءٍ حِجاب يكونُ في ذَلِكَ الحِجاب ساعتين ثُمَّ يَنتَقِلُ مِن سماءٍ إلى سماء.

قالَ السائِل: أخبرني عَن هَذهِ الحجُب بأيِّ صورَةٍ هيَ ؟

قالَ العالِم: نوراً يَتَلألأ .

قالَ السَّائِل: فللَّه حُجُب غير هذه ؟

قالَ العالِم: نَعَم نزول قدرتهُ في الأنبياء وحلولهُ فيهِم .

قالَ السَّائِل: وما علامَتهم ؟

قالَ العالِم: إذا نَطَقوا بالغيب وأحيوا الموتى وتَغييرهم الشيء عَن كيانهِ وعَن هيئَتهِ فذَلِكَ الفِعلُ للرَّب لا للعَبد .

قالَ السَّائِل: ولِمَ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: ليُنصِفَ أهلَ الأرض كما أنصَفَ اللَّه أهل السّماء ولِيَعرفهُ أهلُ الأرض كما عَرَفَهُ أهلُ السّماء وهوَ كمالُ المَعرِفَة وهوَ كما قالَ نبيَّنا داؤود ـ عليهِ السّلام ـ تصفق الأشجار جميعاً وتُسَبِّحُ الجِبالُ للرَّب الذي يجيءُ بالعِلمِ والقُدرَة ويجيء ليُدَبِّرَ ويدين أهلُ الأرض ويَقضي للعِباد بالقِسط وللشعوبِ بالعَدل كقولهِ ظهَرَ الرَبُّ في جماعَةٍ مِنَ الملائِكَة فيكونُ الأمر مِنَ الملك والقُدرَة والفِعلُ للَّه .

قالَ السَّائِل: فأهلُ الأرضِ يَعرِفونَ هَذهِ الأسماء والقُدرَة والحجُب .
قالَ العالِم: نعَم معرفتها على العُلَماء يؤَدونَها إلى الجُهَّال لأنَّ العالِم رَبَّاني أما رأيتَ المُعَلِّمَ كيفَ يُعَلِّمُ صِبيانَهُ ويُعَرِّفُهُمْ مِن دَرَجَة إلى دَرَجَة ولا يُخبِرُهُمْ بِما عِندَهُ حَتَّى يَستَحِقُّوا ذَلِك.
قالَ السَّائِل: أخبرني عَن حلولهُ في نبيٍّ واحِد دونَ نَبي أو وصي دونَ وصي أو رَسول دونَ رَسول.
قالَ العالِم: إذا عَرَفتَهُ في الأنبياء كَملَت لكَ مَعرِفَةُ المراحِل وإذا عرفتهُ بالقُدرَة عرفتَ الموضِعَ الثَّابِت في الأرض .
قالَ السَّائِل: ذَلِكَ شيءٌ لَهُ انقِطاع أو لا انقِطاعَ لَهُ إلى يومِ القيامَة.
قالَ العالِم: ذَلِكَ منذُ خَلَقَ اللَّه آدَم إلى يوم أن يَفنى ولَدُ آدَم هوَ كذَلِك.
قالَ السَّائِل: وكيفَ ظَهَرَ للخَلقِ بالعِلمِ والقُدرَة ودعاهُمْ إلى نَفسهِ وإلى الإقرارِ بربوبيَّته أكانَ قَبلَ ذَلِكَ خفيٌّ لبعضٍ دونَ بَعض ويكونُ بَعدَ ذَلِكَ خفيَّاً لا يَعلَمهُ أحَد إلا الخاص دونَ العام لتَستَبينَ الدَعوَة ؟
قالَ العالِم: إنَّهُ لو كانَ خَفيَّاً عَن بَعضٍ دونَ بَعض كانَ يُخَبِّر عَن مجيئِهِ وذَلِكَ قولهُ: هَل ينظرونَ إلا أن يَأتيهم اللَّه في ظُلَلٍ

مِنَ الغمام والملائِكَة (البقرة 210)
فظَهَرَ للخاص والعام حينَ جاءَ بالتَصديق كانَ يُخَبِّر عَن مجيئـهِ ويَظهَرُ مَع ذَلِكَ للقلوبِ الطّيبَة .
فلمَّا جاءَ التَصديقُ للأنبياء كي لا يَعلَم أنّها قَد كَذَّبَت حَتَّى يَظهَر للخَلقِ للخاصِّ والعام ليتَبيَّنَ التَصديقَ والتكذيب ولا يكمل التكذيب حَتَّـى يَظهَـر للصَـغيرِ والكَبـير والـذَكَر والأُنـثى والناشـئ والمولـود والفاني لأنَّهُ كانَ ما لا يَرى إذا كانَ الخَبَرُ دالاً عليـه وهوَ ظهورهُ بـالعِلمِ والقُـدرَة فـإذا وَقَـعَ الشَـكُّ فيـه لَـمْ يُعاين فلمَّـا أظهَـرَ عِلمَـهُ وقُدرَتَـهُ تبيَّـنَ أمـرُهُ وعُـرِفَ بِقُدرتـهِ بربوبيَّتـهِ ثُـمَّ أخبَـرَ كيـفَ يُعبَد وكيفَ يُطاعُ وكيفَ يُعصى بَعدَ شهادَةِ الأنبياءِ لَهُ بالربوبية خاصَّاً وعامَّاً استِدراجاً مِنهُ بِذَلِك ليُجزي المجترئ عليه مِمَّن أسدى إليـه إحسـاناً ومَـنَّ عليـهِ تفَضُّـلاً وغُفرانـاً ليُملـي لَـهُ بـالكُفرِ والتَعَـدِّي فيطغى علـى آياتـهِ،والقُدرَةُ أعظَم أنَّـهُ حيـنَ أظهَـرَ آياتَـهُ فلَم يَقدِر على مِثلِها أحد فعَظُمَت الحِجَّة حينَ رأوا قُدرَتَـهُ،فمن ألطَفِ صُنعاً وأبيَنُ أمراً وأثبَتُ قولاً وأكمَلُ إيقاناً مِن رَبٍّ أظهَرَ قُدرَتَهُ في عَبـدِهِ حتَّـى يُبيِّـنَ أمـرَهُ وظَهَـرَ بذاتـهِ وعُرِفَـت ربوبيَّتَـهُ ومجَـدَهُ ومشيئتَـهُ ونسبتَهُ .
أرادَ بالنسـبَة أن يطلـب فـي النسـبة بالقُـدرَة الـتي لا تَسـتَنكِرنّ

عجائِبُهُ عَن خَلقهِ .

قالَ السَّائِل: مِمَّا ظَهَرَ بعد إذ خَفيَ وخَفيَ بَعدَ أن ظَهَرَ فلِمَ فعَلَ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: لأنَّ الشهادتين أفضلُ مِنَ الشّهادَةِ الواحِدَة والجَهلُ قَد يكون معَهُ الشَك .

فلمَّا أظهَرَ قُدرتَهُ اطمأنت القلوبُ السَّاكِنَة إليه وأخبَرَهُم أنَّهُ كما كان يكون وكما يكون كان وأنَّهُ يَظهَر ويُظهِرُ قُدرَتَهُ وعِلمَهُ كيفَ يشاء وأنَّهُ يَظهَر بَعدَ الأنبياء الذينَ ينبؤن عَنهُ بالأوصياء .

كما قالَ أشعيا النَبي ـ صلى اللَّه عليهِ وسَلَّم ـ حيثُ قال: البتولُ تَحمِلُ وتَلِدُ ابناً ويُدعى عمانوئيل الذي تَرجَمتهُ قُدرَةُ الرَّب معنى أظهَرَهُ إلى النَّاسِ وأخبَرَهُم أنَّهُ يَفعَل ما لَمْ يَكُن يَفعَل في أيدي الأنبياء ـ عليهِم السّلام ـ مِنَ القدرَة وإنَّهُ يُظهِرُ قُدرَتَهُ كيفَ يشاء بِما يشاء فلا يستعظمنّك واتَّبِع أمرَ رَبِّكَ فمِن حيثُ دعاك فأجِبهُ وكُن مُستَمِعاً لصوتهِ واقصُد إليهِ بالطَلَب تَجِدهُ حاضِراً موجوداً حاضِراً غَرباً وشَرقاً ولا يحولُ عَن قِبلَة ولا شِمال ملياً وفيَّاً أي كُلّما سَمِعتَ داعياً إليه فاقصِدهُ واطلُب مِنهُ عِندَ دَعوتهِ فإذا أظهَرَ شيئاً مِن قُدرَتهِ عَلِمتَ أنَّها صادِقَة فلا يَشتَبِهَنَّ عليكَ أمرهُ فإنَّ قُدرَتهُ شامِخَة وأمرهُ تام قائِم لا يَزول وحِجتهُ ظاهِرَة وعلامتهُ

بيّنَة ونـهيهُ أبداً وعلومـهُ مُعجِزَة .

قـالَ السَّـائِل: فـإذا فَعلـتُ ذَلِـكَ فـي كُـلِّ أوقـاتي مِـنَ الليـلِ والنّـهـار ليَكمُلَ إيمانـي .

قالَ العالِم: نَعَم ليَكمُلَ لَكَ الإيمان الذي أنـتَ بـهِ مؤمِن ولَـمْ يَكمُل لكَ الإيمان والميثاقُ الذي أنتَ بهِ مُشَدَّد.

قالَ السَّائِل: وما شِدَّةُ الإيمان ؟

قالَ العالِم: تَعلَمُ دَعوَةَ ربِّكَ مِن كُلِّ مكان ومِن أينَ هوَ لا تَجهَل أمـرَهُ فإنَّـكَ لـو عَرَفـتَ إيمانـك وفَرغـتَ مِنـهُ وتَفَرَّغـتَ مِـن مَنزِلتـكَ الدُنياويَّة وتثبتك وذكرك بِها رَجِعتَ إلى الرُّوحانيَّة.

ثُمَّ قالَ العالِم أيضاً: إنَّما جَعَلَ تَكريرُ الليلِ والنّهار وعَدد السَّاعاتِ والحِسـاب والأيَّـام والسـموات والأرضـين والبِحـار والنجـوم هـؤلاء علامـات مِن قُدرَةِ الملـك الجَبَّـار فـي الأنـام وتَـرَدّد الأيَّـام والتكرار وبيـان مـا بيـنَ الصورَة ومـا حَـلَّ مِنهـا ومـا نَبَّـأت بـهِ الكتُـب عَـن تَحليلهِ وعَن تَحريمهِ وتَغييرِ صورتهِ عَن هيئتهِ وبقاءِ جوهرهِ .

قالَ السَّائل: أيُّها العالِم: لا يُضجرَنَّكَ أمري ولا يُغضِبَنَّكَ سؤالي ولا يَكبرنَّ عليكَ كلامي لأنَّكَ موضِعَ الرَبِّ أيُّها العالِم ـ جَلَّ وعَزَّ ـ وأنا موضِعَ العَبدُ الجاهِل أسألُكَ لأتَقَرَّب إليك وأتواضعُ لك وأميلُ إليـك وأصـغي لـك لآخُـذَ مِنـك فـلا تَـدَعنَ لـي حِجَّـة ولا تَـدخِرَنَّ عنِّـي

[ ]

نصيحَةً فإنَّكَ إلى مَعرِفَةِ رَبِّي تُقَرِّبَني وإلى الثواب تَدِبني
قالَ العالِمِ: سَلني تَجِدني وفيّاً مليّاً ولا يَخطُرُ على قَلبِكَ شيءٌ إلا فَسَّرتُ مِنهُ ما أبري بهِ جرحك .
قالَ السَّائِل: أخبِرني كيفَ ابتدأ اللَّه آدَم بالنِعمَة ثُمَّ أخرَجَهُ إلى الشّقاوَة ثُمَّ ابتَداهُ بشُكرِ اللسان ثُمَّ أخرَجَهُ إلى شُكرِ الجوارِح وكيفَ كانَ في الجَنَّةِ حُرَّاً وصارَ في الأرضِ عَبداً يؤَدّي إلى مولاه حَقَّهُ فإن ضيَّعَ شيء أدَّبَ وإن غَفَلَ عَن شيء أنَّبَ وحظَّرَ عليهِ المطعَم والمَشرَب حَتَّى صارَ مثلاً ووزناً وثواباً وعِقاباً .
قالَ العالِمِ: إنَّ اللَّه خَلَقَ الخيرَ قَبلَ الشَّر والنّورَ قَبلَ الظُلمَة والقُدرَة قَبلَ الفعل والروحانيَّة قَبلَ الجِسمانيَّة ولَمْ يَفعَلها إلا لِعلَل وجَعَلَ الحياةَ قَبلَ الموت والمؤانسَة قبلَ المُفارَقَة .
ثُمَّ إنَّ اللَّه ـ تبارَكَ وتعالى ـ لمَّا طالَ الزَمان وكثرة الأيام احتجَبَ في خَلقهِ في دَهرِ الدهور وزمانِ الأزمِنَة فأنشأَ قروناً كثيرَة على عَدَدِ حجُبهِ السَبعَة لِكُلِّ حجابٍ آدَم وجَعلَ ذَلِكَ على عَدَدِ الأيام كُلُّ يومٍ لآدَم وجَعَلَ السماوات سَبعاً والأرضين سَبعاً كُلُّ سماء لروحِ آدَم وكُلُّ أرض لبَدَنِ آدَم،وجَعَلَ البِحارَ سَبعاً كُلُّ بَحرٍ لِعلمِ آدَم،وجَعَلَ النجومَ سَبعاً كُلُّ نَجمٍ مِنها دليل على حجاب نوري

والحجابُ النوري دَليلٌ على سَبعَةِ أبدانٍ ظُلميَّة لِكُلِّ ولَد آدَم سَبعُ ولاداتٍ فـي التَكريـر يَنتَقِـلُ إلـى درجَـة فدرجَـة فـي العِلم،وكذَلِـكَ أجناسُ النَّاس يَعني الخَلق والحيوان دَليلٌ علـى سَبعَةِ أبدان فـي كُلِّ بدَن تكرارهم وجنسهم ثُمَّ يَنتَقِل الجِسم الذي لا يُشاكِل الإنسان في سبعِ أجناس مِن كُلِّ جِنس.

ثُمَّ قالَ السَّائِل: فَسِّر لي مَن خَلقَ آدَم.

قالَ العالِم: إنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم بيَدهِ وصوَّرَهُ علـى صورَةِ جوهَرِه،ثُمَّ أن اللَّه أمكَثَهُ بذَلِكَ مِقدار سبعَةِ آلافِ سَنَة يُمَجِّدُ نَفسَهُ ويُسَبِّحَها ويُهَلِلَّهـا ويُكَبِرَهـا لا لحاجَـةٍ لَـهُ ولكِـن ليَعلـمَ الملائِكَـة وأرواح الآدَميين حَتَّى تعلَّمتَ كيفَ تقول وكيفَ تُسَبِّح اللَّـه ولولا ذَلِكَ ما عرفتَ كيفَ تُسَبِّح اللَّـه ولا كيفَ تُهَلِلَّـه ولا كيفَ تَحمدهُ ولا كيفَ تُمَجِّدَهُ ولا كيف تُكَبِّرَهُ لأنَّ اللَّـه عالِم لا يَتَعَلَّم وهُمْ يَتَعَلَّمون فلولا أنَّـهُمْ مـا عُلِّمـوا مـا أحسَنوا ولا عَرَفـوا الذهاب والمجـيء والصعود والنزول والتَسبيح والتَهليل والتكبير والأسماء والنِداء والجواب .

قالَ السَّائِل: فقَد تَعَلَّموا ذَلِكَ مِن رَبِّهم لأنَّـهُمْ رأوهُ يقولُ فقالوا مِثلَهُ فمَن خاطَبَـهُ بالربوبيَّـة والجواب ونَعَم ولا،وأطَعت وعصيت وكيفَ أجابوا ومَن أجابَهُ.

قالَ العالِم: هوَ أجابَ نَفسَهُ بنَفسهِ .

قالَ السَّائِل: كالمجيب لنَفسهِ لا ونَعَم كهيئَةِ المَجنون والموسوس والمَفتون،أو كانَ يجيبَهُ غيرهُ مِن خَلقهِ .

فإن كانَ بالصِفَةِ الأولى فليسَ هَذهِ صِفَةٌ حَكيمَة وأن كان خلقهُ يُجِيبونَهُ على مِثلِ ذَلِك كما أجابوهُ على غيرِ تَعليم يسبّحونهُ على غيرِ عِلم فَمِن أينَ لَهُمْ عِلمُ ذَلِك .

قالَ العالِم: إنَّ اللَّه أظهَرَ مِن نَفسهِ القُدرَة فيها عرفوا نَعَم ولا وأطعت وعصيت فتَعَلَّمَت الملائِكَة كلّها مِن أولِها إلى آخِرها وأرواحُ الآدَميين وعَرَفَت القُدرَة والتَردُّد والطَّاعَة والمَعصيَة لينفي عَن نَفسهِ أن يوصَفَ بحدودِ المجانين والموسوسين أو يُرادّ نفسه أو تحدثه حتَّى ظَهَرَ بِقُدرَتهِ كهيئَةِ المولود فكانَ هوَ الذي يرادّه على أمرهِ فعَلِمَت الملائِكَة أنَّهُ اتَّخَذَ هَذا الجسم على هيئَةِ الصَبي الصَغير فمِن أجلِ ذَلِك صارَ الصَغير يُعَلِّمَهُ الكَبير ويُعَرِّف الحَق لِمَن هوَ أكبَر مِنهُ ويُشاوِر مَن هوَ أكبَرُ مِنهُ،وأقدَم فعَرَفَت الملائِكَةُ الأمر والنَهي والطَّاعَة والمَعصيّة وأرواحُ الآدَميين ولولا ذَلِكَ لما عُرِفَت ولولا أنَّ اللَّه أظهَرَ مِن نَفسهِ ذَلك لخَلقهِ لَمْ يَعرِف خلقهُ كيفَ يطيعُهُ ولا كيفَ يَعصيهِ ولا كيفَ يأمرهُ ولا كيفَ يَنهي ولا كيفَ يُهَلِّل ولا كيفَ يُسَبِّح ويُكَبِّر .

قالَ السَّائِل: أيُّها العالِم أضرب لي في ذَلِكَ مثلاً .

قالَ العالِم: إنَّ اللَّـه ـ عَزَّ وجَل ـ أخرَجَكُمْ مِن بطونِ أمَّهاتِكُمْ لا تَعلمونَ شيئاً فغُذيتُم بالغِذاء حَتَّى تَعَلَّمتُمْ ما سَمِعتُم وعَرَفتُم ما رأيتُمْ وكذَلِكَ عَرَفتُم الذَهاب والمجيء والمَنفَعَة والمضَرَّة لما علّم الكَبير الصَغير فكُلُّ مُغَذّي هذهِ درجتهُ وأمرهُ وتَعليمهُ .

قالَ السَّائِل: هَذا تَعليمُ النَفسِ في الأبدان على ما رأت مِنَ الغِذاء وتَعليمهُ وغِذاه وتغذيه الأرواح بِلا أبدان وتَعليمها عِندَ ظهورِ الرَّب بالقُدرَة حَتَّى علمها وهي لا تعلمُ شيئاً .

قالَ العالِم: فكذَلِكَ فرق ما بينَ الرُّوحِ والبدَن في النَشأةِ الأولى .

قالَ السَّائِل: فمَن أوَّلُ مَن ظَهرَ بالوِلادَة حَتَّى تَعلَمُ النَّاسُ مِنهُ ومَن عَلَّمَهُمْ تَربيَةُ المولود ؟

قالَ العالِم: إنَّ اللَّـه ـ عَزَّ وجَل ـ لمَّا بَدَأ خلقهُ آدَم (صلعم) ابتَداهُ بالولادَة وكيفَ يشاء خلَقَ بدَن آدَم فلمَّا أن خَلَقَهُ أرادَ أن يزوِجَهُ،سَلَكَ فيهِ روحاً في بدَنهِ فجُعِلَت حوَّاء لَهُ فسكَنَت إليهِ أنَّهُ خَلَقَها مِن ضِلعهِ فلمَّ تَغَشَّى بِها حَمَلَت حَملاً خفيفاً فلمَّا أرادَت أن تَلِد صوَّر اللَّه لها صورَة أنثى بها حَمل تزجر في حملها حَتَّى ولَدَت ثُمَّ قَطَعَت سُرَّتَها وشَدَّت قماطَها فلمَّا رأت حوَّاء ما صَنَعَت الصّورَة صَنَعَت مِثلَها حَتَّى بلغَ المولود ثُمَّ رَأت صورَة قمطت ولدَها فقمطَت هيَ أيضاً ثُمَّ أنَّ اللَّه ألهَمَ آدَم أن يَسألَ حوَّاء من

علَّمها أن تُرَبِّي طِفلَها وتقمطَهُ فامتَنَعَت حوَّاء أن تُخبِرَهُ فأقبلَت تومئ إلى موضِع الصورَة فمِن ذَلِكَ عرَفَت الأمَّهات فلمَّا صارَ إلى موضِع الصورة فلَم يرى شيئاً فقالَت حوَّاء لآدَم قَد مَرَّت امرأةٌ مِن هاهُنا ثُمَّ فَكَّرَ آدَم ما عَلَّمَ بهِ اللَّه الأرواح مِنَ الغِذاء فأوَّلُ ما عَلِمَ تَربيَةُ الوَلَد على يَدي حوَّاء مِن تِلكَ الصورَة التي صوَّرها اللَّه لَها .

قالَ السَّائِل: هذا تَعليمُ الولَد والتَربيَة والغِذاء فكيفَ تَعليمُ القَتل .

قالَ العالِم: إنَ اللَّه لَمَّا رأى ولَدي آدَم قَد رُبيا وقَد اجتَرَأ أحَدهُما على اللَّه وأنَّهُ قَد هَمَّ أحَدهُما أن يَقتُلَ صاحِبَهُ بَعَثَ اللَّه صورَتين على صورَةِ الولدين،مَع أحَدهما خيراً كثيراً مِن ذَهَب وفِضَّة وجوهَر فوثَبَت عليهِ الصورَة الأخرى حَتَّى قتَلَتهُ وأخَذَت كُلَّ ما كانَ مَعَها .

فوثَبَ ابن آدَم على أخيهِ فقَتَلَهُ وبَقيَ لا يَدري كيفَ يَصنَعُ بهِ،ولا كيفَ يدفِنَهُ حَتَّى جاءت الصورَة القاتِلَة فحَفَرَت حُفيرَة وأدخلَت فيها ذَلِكَ المَقتول فقالَ ابنُ آدَم يا ويلتي أعَجِزتُ أن أكونَ مِثلَ هَذا الغُراب فأواري سوءةَ أخي فحَفَرَ حُفرَة وأدخَلَ فيها أخاه فقالَ آدَمُ لابنهِ القاتِل: مِن أينَ تِعَلمتَ هذا ؟

قالَ: ظهَرَت لي صورَة مِن صفتها كذا وكذا فتَعَلَّمتُ مِنها القَتلَ

والدَفن .

فقالَ آدَمُ . عليهِ السّلام . إلهي عَلَّمتَ النَّاسَ الخير فتعَلِّمهُم الشَرَّ أيضاً وإنَّما فَعَلَ هَذا التَعليمَ للنَّاس حَتَّى يَعرِفوا الطَّاعَة والمَعصيَة عِندَ الأمر والنَهي فالتَعليمُ مِن عِندِ اللَّه والعبيدُ هُمْ المُتَعَلِّمون فعِندَها أوجِبَت الطَّاعَة والمَعصيَة وظَهَرَ الحَقُّ مِنَ الباطِل.

قالَ السَّائِل: أيُّها العالِم: فَلِما صارَ ذَلِكَ قَبيحاً وصاحِبَهُ مَلعوناً يَعني القاتل إذا كانَ ذَلِكَ فِعلُ اللَّه وتَعليمهُ.

قالَ العالِم: لأنَ الرَّب فِعلهُ تَعليماً والعَبد فِعلهُ تَعَدِّياً والرَّب فِعلهُ على المَنفَعَة والعَبدُ فِعلَهُ على المضَرَّة.

قالَ السَّائِل: فما حَدُّ هَذهِ الأرض ومَن عليها ؟

قالَ العالِم: هذهِ خُبئت فيها العَداوَة للرّب تَعرِف فيها الطَّاعَة والمَعصيَة عِندَ الأمر والنَهي وهيَ دارُ مِحنَة وليسَ في السّماءِ شيءٌ مِن ذَلِك وهيَ سِجنُ المؤمِن وجَنَّةُ الكافِر وقَد يكونُ المؤمِنُ فقيراً والكافِرُ مُنعَماً عليهِ مبسوطاً لَهُ في رِزقِهِ مُكرَماً وقَد يكونُ عَبداً ذليلا وقَد يكونُ عَبداً حُرَّاً ويكونُ ذا كُثرَةُ مالٍ ويكونُ ذا مالاً لا عِزَّ لَهُ وقَد يكونُ خليفَة وقَد يكونُ مَلِكاً أو يكونُ فقيراً عزيزاً لا مالَ لَهُ ويكونُ غنيَّاً ذليلاً لا عِزَّ لَهُ .

قالَ السَّائِل: فما عِلَّةُ ذَلِك إن كان ذَلِكَ تَدبيراً مِن رَبِّنا في المُبتَدأ

مَع خَلقه فإن كانَ ذَلِكَ تَدبيراً مِن رَبِّنا فالمؤمِنُ أحَقُّ مِن الكافِرِ في الدُنيا والآخِرَة بالعِزِّ والشَرَفِ والجَمال في الدُنيا والآخِرَة لأنَّ مَن أعطى وليَّهُ وحَرَّمَ عَدوَّهُ فكريمٌ جَليلٌ حَكيم أولى بالصوابِ من أن يُعطى هَذا عَدوَّهُ فإن كانَ لا يَعرِفُ عَدوَّهُ مِن وليَّهُ فهوَ جاهِل لا يَستَحِقُّ القِدَمَ والربوبيَة وإن كانَ أعطى المؤمِن في الآخِرة وعَجَّلَ للكافِر في الدُنيا وعِزَّةُ المؤمِن وذَلَّةُ الكافِر فليسَ في ذَلِكَ حِكمَة .

قالَ العالِم: وكيفَ لَمْ تصير حِكمَة ؟

قالَ السَّائِل: مِن طريق أنَّهُ أعطى الكافِر في الدُنيا ولَمْ يُعطهِ في الآخِرَة فقَد زادَ الكافِر مِنَ المؤمِن في الدُنيا .

قالَ العالِم: نعيمُ الكافِرِ يَفنى ونَعيمُ المؤمِنِ نعيمٌ لا يَفنى

قالَ السَّائل: أوليسَ قَد نالَ الكافِر بعضَ ما نالَ المؤمِن ولو يوماً واحِداً أو ساعَة وفي ذَلِكَ إزالَةُ الحِكمَة وقِدَمُ الربوبيَّة وذَلِكَ أنَّهُ جَعَلَ الوليّ والعَدو في ساعَةٍ واحِدَة شيئاً واحِداً وذَلِكَ يُذهِبُ بالحِكمَة والأولى في المؤمِن وقيلَ بالمُجازَفَة ولا هوَ أنَّهُ في العَدو وإن كانَ في المُمارَقَة فأولى بهِ تَركُ الحِكمَة وفي تَركِ الحِكمَة تَركُ الربوبيَّة وفي تَركِ الربوبيَّة تَركُ القِدم وذَلِكَ مُحالٌ أن يكونَ الخَلقُ بِلا خَالِق،وقَد رأيتَ هَذا الرزقَ يَتَّسِع في الوليِّ

والعَدو فما أصلُ ذَلِكَ وكيف ذَلِك وقَد نَرى الوليَ والعَدو يَعبدونَ اللَّه ويَتَضَرَّعونَ إليهِ بِكُلِّ شريعَة مَع كُلِّ قَبيلَة وكلُّهُم يَبتَهِلون ويَبكون خوفاً وطَمَعاً ويَرجونَ لِقاءهُ فإن كان كُلُّهُم مُصيبين فكلّهم مُخطئين لأنَّهُم يَكفرون بَعضهُم بَعضاً ففي ذَلِكَ الكُفرُ المَحض إذا كفرَ مَن كانَ على الحَق وإن قالَ قائِل كُلّهم على الصِدق فقَد كَفَر لأنَّ جميعَ الأمَمِ مُجمِعون على أنَّ مَن قال أنَّهُم جَميعاً مصيبين كانَ كافِراً .

قالَ السَّائِل: وكيفَ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: إذا كانَ الواحِدُ مِنهُم يُكَفِّر صاحِبَهُ وأصلُ ديانَتهِ الكُفر لصاحبِهِ كانَ المُصَدِّقُ لَهُما جَميعاً مُكَذِّباً لأنَّهُ يُصَدِّقُ مَن لا يُكَذِّبَهُ وكلّهم مُجتَمِعون على أنَّ مَن قالَ أنَّهُم مصيبون جميعاً كانَ كافِراً مُخطِئاً لأنَّهُ قَد صوَّبَ مَن لا يصدق مَن يكذبه صواباً هوَ عِندَهُم كافِراً .

قالَ السَّائِل: فما هَذهِ البَليَّة في الدين ثُمَّ أثبتني البيانُ في الرِزق والعز والمُلك .

قالَ العالِم: إنَّ الأنبياءَ ـ عليهِم السّلام ـ وكلاءُ اللَّه في أرضهِ يُريدونَ أن يُعبَد اللَّه بِكُلِّ لسانٍ في كُلِّ جِهَةٍ بترابيعِ الأرض كما يُعبَدُ في كُلِّ ترابيعِ السّماء بِكُلِّ لسانٍ آدَمي كما عُبِدَ بِكُلِّ لسانٍ

ملكي على كُلِّ جِهَةٍ وكُلُّهُم يَبنونَ للَّه بيوتاً يذكر فيها اسمه ويُعبَدُ إلى أن يشاء ما يشاء مِن تَغييرٍ وزِيادَةٍ ونُقصان حَتَّى لا يكون أحَد يَعبُدُ إلا الرَّب بقُدرَتِهِ ويَظنُّ الجاهِلُ أنَّ ذَلِكَ تناقُض وتفاوت بغيرِ عِلم وأنَّ الذي أرسَلَ هؤلاء غيرُ حكيم .

قالَ السَّائِل: أضرب لي مَثَلاً أفهَمهُ.

قالَ العالِم: إذا كانَ لِرَجُلٍ ثوب وأصلهُ عَرَفَ الغايَة فيه وعَرَفَ آخِرَهُ وأولهُ مِن ابتَدَاء أمرهُ إلى انقضائِهِ فقَطَعَ مِنهُ طيلساناً يتَجَمَّل بِهِ ويَنتَفِع بهِ مَن يَخيطهُ وفي نفسهِ أنَّهُ إذ خَلقَ خاط مِنهُ جِبَّة فيصبغها فينتَفِع بِذَلِكَ مِن عَمَلِها ومِن لبسها وهيَ بخلافِ الطيلسان وخِلافِ لونهِ الأوَّل لا تَصلُح لِما يَصلُح لَهُ الطيلسان وإذا فَضَّلَ مِنهُ شيئٌ جَعَلَ مِنهُ سراويلاً لئلا يَذهَب مِنهُ شيئ،أحَكيمٌ هَذا إذا فَعَلَ ذَلِك أم غيرُ حَكيم .

قالَ السَّائِل: بَل حَكيم.

قالَ العالِم: وإنْ لبسه طيلسانٌ حتَّى يَتَخَرَّق أتَكونُ حِكمتهُ في الثوبِ أيضاً وتَدبيرَهُ وبلوغ هِمَّتُهُ وإرادَتهُ مِثلَ هِمَّةِ مَن أصلَحَ الثوب ولَم يُفسِد مِنهُ شيئاً .

قالَ السَّائِل: الأوَّلُ أجوَدُ حِكمَةً مِنَ الثاني ؟

قال العالم: كيف ؟

قال السائل: لأنَّهُ دَبَّرَ في الثوب وهوَ صحيح قَبلَ أن يَقطَعَهُ منافِعاً مِنهُ الجِبَّة والطيلسان والسراويل فخَرَجَ التَدبير على ما كانَ العِلم سَبَقَ فيهِ وصار في الثوبِ منافِعَ للنَّاس بمِثلِ هذا يُقاسُ النَّاس بَعضٌ مِن بَعض فالحِكمَةُ قَد استوَت فيهِ مِن كُلِّ وجهٍ وناحيَة .

قالَ العالم: أجاهِلٌ هوَ أم عالِمٌ حَكيم هوَ أم غيرُ حَكيم .

قالَ السَّائِل: هوَ حَكيم.

قالَ العالِم: فإنَّ رَبَّنا ـ جَلَّ وعَزَّ ـ خَلَقَ الخَلق ويَعلَمُ ما يُصلِحُهم في كُلِّ زَمان فأرسَلَ إليهِم في كُلِّ زَمان نبياً يُصلِحهُم ويُبطِلُ شَريعَةَ مَن كانَ قَبلُهُ ويُخرِجُهُم مِن شَريعَةٍ إلى شَريعَة حَتَّى تتِمَّ الحِكمَة وتَبلغ الهِمَّة ويَتِمَّ العلمَ والتَدبير إلى آخرِ الأبَد على انقطاعِ العلَل كُلُّ ذَلِكَ يُظهِرُ فيهِم قُدرَتهُ ويُبيِّن لَهُم آياتهِ ولو كانَ ديناً واحِداً لكانَ غيرُ حَكيم كما فَعَلَ صاحِبُ الثوب الذي قَطَعَهُ طيلساناً وهوَ يَعلَمُ أنَّهُ يصيرُ جبَّة ويصبغها فيَنتَفِع الصَّباغُ والخيَّاط أيضاً وقَد انتفَعَ بالثوبِ مرَّة طيلسان ومَرَّة جِبَّة ومرَّة سراويل وكُلُّ ذَلِكَ لتَدبيرِ المَصلَحَة كذلِكَ الخالِقُ أظهَرَ فيهِم قُدرَتَهُ وبيَّنَ آياتهِ .

ولو كانَت آيَة واحِدَة مِن رَسولٍ واحِد لكانَ غيرُ حكيم لما يَصلُح

للعِباد في كُلِّ زَمانٍ مِثالُ صاحِب الذي هَيأه بكتاب ليُصلِح بِها أموراً كثيرَة .

قالَ السَّائِل: أنبِئني فيه بشاهِدٍ مِثلَهُ.

قالَ العالِم: إنَّ اللَّه ـ تَبارَكَ وتَعالى ـ جَعَلَ أجناساً كثيرَة في المواليد وأظهَرَ صوراً كثيرَة يُظهِر فيها تَبياناً وتَهيأ بهيئتها لِكُلِّ شيءٍ بذَلِكَ الجنس حتَّى يُظهِر قُدرَتَهُ وعِلمَهُ على كُلِّ شيء كيفَ يشاء بِما يشاء مَكشوفاً ومَستوراً تبارَكَ وتَقَدَّسَ .

قالَ السَّائِل: أوليسَ قَد جَرى على يَدِ كُلِّ نبي كما شاء وأراد .

قالَ العالِم: نعم مَكشوفاً ومَستوراً .

قالَ السَّائِل: فَرَّجتَ عَنِّي هَمي وأذهَبتَ عَنِّي غَمِّي وتَصوَّرَ الحَق في عَقلي وأذهَبتَ الشبهَةَ عَنِّي فعُد إلى مَعنى الرِزق والعز والملوكيَّة هَل في ذَلِكَ حيلةٌ تُرى أم ذَلِكَ يُدرَكُ بالعَقل فلو كانَ فيهِ حيلَة لحتال الملوك أن يكونوا ملوكاً أبداً والأغنياء أن يكونوا أغنياء أبداً والأعِزاء أن يكونوا أعِزاء أبداً وإن كانَ أمرُ اللَّه هكذا مَخلوقاً مَقدوراً فهيَ الحِكمَة المنقوصَة وإن كانَ باكتِساب فكيفَ لَمْ يَجعَل للمؤمِنِ فَضلاً على الكافِر حَتَّى يَكتَسِبَ أكثَر مِمَّا اكتَسَبَ الكافِر ؟

قالَ العالِم: إنَّ أصلَ ما أخرَجَ اللَّه آدَم مِنَ الجَنَّة وقَد كانَ فيها

بِلا تَعَب ولا نصب ولا يُمنَـعُ عَن لِذَّة ولا عَن شَـهوَةٍ يُريدها ولا عليهِ مُحاسَبَة يَفعَل فيها ما يشاء فلمَّا ظلَمَ نَفسَهُ وتعَدَّى قولَ ربِّهِ وفعَلَ ما نَهاهُ عَنهُ أُخرِجَ مِنها إلى دارِ التَعَبِ والبلاء والشقاء والمُحاسَبَة على الصَغيرَة والكَبيرَة فكانَ أصلُ الخروج مِنَ النِعمَة إلى البَليَّة ومِنَ العِزِّ إلى الذُل ومِنَ الكرامَةِ إلى الشَقاء بالمَعصيَة التي عَصى آدَمُ رَبَّهُ بِها وكذَلِكَ المؤمِن إنَّما يَقَعُ بهِ الامتحان والعقوبات والبلاء والشَقاء والتَعَب والنَصب مِن أفعالٍ سَبَقَت مِنهُ .

قالَ السَائِل: قَد قُلتَ أنَّ لِكُلِّ مؤمنٍ سَبعَة أبدان وسَبعَة أدوار.

قالَ العالِم: أليسَ قَد قلت لكُلِّ مؤمِن سَبعَة أبدان وسَبع ولادات إنَّ اللَّه لا يُعطي العَبدَ في الدُنيا لإيمانـهِ شيئاً ولا يُعطي الكافِر لِكُفرهِ شيئاً لأنَّ الإيمانَ والكفر في القلوب والأعمالُ بالجوارِح والدُنيا دارُ عَمَل بالجوارِح والآخِرَةُ دار توفية بالعَمَل للإيمان والصَفوَة والتَقيَّة وهيَ الجَنَّةُ والنَّار لأنَّ الإيمانَ الصَحيح والكفر إنَّما هوَ في القَلب والأعمالُ بالجوارِح،وليسَ للمؤمنينَ في الآخِرَةِ أبدان وإنَّما هُمْ روحانِيون فلو كانَت أبدانهم مَعَهُم عَملَت في الدُنيا إيماناً لكانَت مَعَهُم روحانيَّة في الجَنَّة.

قالَ السَّائِل: أخبِرني عَن هَذهِ الأسماء التي سَألتُكَ عَنها مِن

أقسامِ الرِزق والبلايا وبيّنها لي بياناً أعرفهُ .

قالَ العالِم: مَن يَعمَلُ في الدُنيا ما أمِرَ بـهِ مِنَ الحَسنات إن كـانَ مؤمِناً يوّفىَّ ثوابَهُ في الآخِرَة وإن كانَ كافِراً يوفّىَّ ثوابـهُ فـي الدُنيـا فلذَلِكَ يُعطى الكافِر في الدُنيا ويُعطى المؤمِن في الآخِرَة ولِكُلّ سيّئَة عقوبَة ولِكلّ حَسَنـة ثواب فافهَم ذَلِكَ ولا يَعسرَنَّ عليكَ العِلم إذا جـاءكَ مُنـادي العِلـم هوَ مُنـادي الحِكمَة،وأبـدان العُلمـاء هـيَ أبدانُ البيان ومَن لا عَقلَ لَـهُ لا فِطنَـة لَـهُ،وإنّي ما قُلتُ لَكَ شيئاً إلا مِـنَ الكِتـاب شـهَدَ بـهِ الرَّب،ونَطَـقَ بـهِ الرُّوح،ونَبَّـأت بـهِ الحِكمَـة،وخُصَّ بـهِ المؤمنـون وعُمـيَ بـهِ الجـاهِلون وعرفـهُ أهـلُ الحِكمَة،وتأولهُ أهلُ البصيرَة والذينَ تَعَمَّقوا في دقائِق وطرائِق أهل العِلم فنَطَقَت بـالبراهين علـى ألسِنتهِم،وظَهَرَ البيـان مِن حِجَّتهِم بدقائِق العِلم،ثُمَّ إنـي أرجَعُ إليك أيُّها السَّائِل فـأبيِّنُ لكَ مِن ذَلِك بياناً تعرفهُ .

أخبرني عَن الذينَ كانوا قَبلَ زمانِ موسى ـ عليهِ السّلام ـ لا كِتاباً لَهُم ولا رسولاً لَهُمْ يـأتيهم ينبئـون عن أنفسـهم ويُقيمـونَ حُجَجـاً لَهُم ويَتَّبِعونَ رِضاءَ رَبِّهِم ويدلُّونَ على مَن كـانَ قبلـهم أينَ كانَـت لَهُم البصيرَة وكيفَ كانَت لَهُمْ الحجَّة وكيفَ عرفوا الحَقَّ والباطِل.

قالَ السائِل: ذَلِكَ بعقولِهم وفِطنَـةُ قلوبِهِم وآياتُ رَبِّهِم .

قالَ العالِمِ: هوَ كذَلِكَ إلا أنَّكَ نسيتَ أكبرها وصيَّةً وأثبتها بيّنَةً أما عَلمتَ أنَّ الأنبياء ـ عليهِم السّلام ـ كانَت الملائِكَةُ تأتيهِم مِثل إدريس النَبي ونوح وذي الكفل وإبراهيم الوفيّ خليلُ اللَّه،وإسحاق الذَبيح ويَعقوب إسرائيلُ اللَّه ومَن كانَ أمثالهُم وكانَ يأتيهم الرّوحُ الأمين فينطقُ عَن رَبِّهِ بالوحي،وهُمْ لا يرونهُ فينهاهُم ويأمرهُم فيكون الرَجُل ينبئُ عَن نَفسهِ وينبئُ عَن أهلِ بيتهِ ومِن قبل عنهُ ثُمَّ يظهَر لَهُم صورَة لا تُناطِقهُم ليَعلموا أنَّ الذي يظهَر لَهُم ولا يُناطِقَهُم هوَ الروحُ الأمين فيستَيقنوا ذَلِكَ حَتّى يعرِفوه ويُعَلِمَهُم حَتَّى يَفهَموه ويُخبِرَهُمْ بِما فيهِ حِجتَهُم وصِدقِ مقالتهِم وذَلِكَ أنَّ إدريس ـ عليهِ السّلام ـ حينَ رفَعَهُ اللَّه مكاناً عليّاً،ثُمَّ نوح في الغَرَق،ثُمَّ إبراهيم في النَّار.

ثُمَّ قالَ العالِمِ: أرأيتك عَن خَلقٍ خلَقَهُ اللَّه فجَعَلَ لَهُ العين ليَنظُرَ بِها والعَقلَ ليَفهَمَ بهِ والأذُن ليَسمَعَ بِها ثُمَّ نَظَرَ إلى آياتِ اللَّه وخلقِه وقُدرَتِهِ وسُلطانه ونوادِر الخَلق وساحَة الموت النَّازِل بِهِمْ والأمرُ القادِم ما كانَ عوزهم .

وقَد خَلَقَ لَهُمْ ما يَفهَمونَ بهِ أنَّ لَهُم خالِقاً وأنَّهُ صَنَعَهُم وكوَّنَهُم بَعدَ أن لَمْ يكونوا وفَهّمَهُمْ بَعدَ أن لَمْ يَعقلوا واللَّه ليسَ كمثلهم وأنَّ الإنسانَ يَحتاجُ أن يَكون لَهُ خالِق وأنَّهُ لا بُدَّ للفِعلِ مِن فاعِلٍ

لا يُشبِهَهُ فلمَّا نَظَرَ الفاعِل إلى المَخلوق المدبّر لا يَقدِر أن يَفعَلَ جِسماً وحياة وعِلم أن الذي يَفعَلُ الجِسم ليسَ هوَ مِن خَلقهِ ثَبَتَ الخالِق للمَخلوق والرَبُّ للمَربوب ولمَّا رأى المَخلوق أنَّ الميِّت لا يَفعَلُ شيئاً عَلِمَ أنَّ رَبَّهُ يُحيي ويُميت وأنَّهُ حيٌّ ليسَ بميِّت وأنَّهُ يَفعَل ما يُريد ثُمَّ نَظَرَ المَخلوق أنَّهُ لا يَفعَلُ شيئاً إلا بيَدِهِ أو بأمرهِ عَلِمَ أنَّ الخالِق يَفعَلُ الشيء بقُدرَتهِ فإن شاءَ فعله بيدهِ مِن بَعدِ القدرَة ولا بُدَّ للحيِّ أن يكونَ عالِماً أو جاهِلاً فإن كانَ جاهِلاً فهوَ في حَدِّ الأموات،وإن كانَ عالِماً فهوَ في حَدِّ الأحياء،وإن كانَ قادِراً أو عاجِزاً فهوَ في حَدِّ الأموات وإن كانَ قادِراً فهوَ في حَدِّ الأحياء ولا بُدَّ مِن أن يكون آمِراً أو ساكِتاً،والسكوتُ للأحياءِ والأموات فإن كانَ ساكِتاً عاجِزاً فهوَ ميِّت وإن كانَ ساكِتاً قادِراً فهوَ حي فإنَّما السكوت عَجز ورِضى وقَد ثَبَتَ أنَّ في الدُنيا ما لا يُرضي اللَّه وفيها ما يُرضي اللَّه فوجَبَ الكلامُ الأوَّل السكوت لموضِع القُدرَة ولموضِع الأمر والنَهي والحياة والموت وقَد ثبتَ الأمرُ والنَهي،ولا بُدَّ للآمِر الناهي أن يُفهِّم خَلقَهُ أمرَهُ ونهيَهُ ولا بُدَّ أن يَتَهيَّأ بهيأتهم حَتَّى يَفهَموا عَنهُ ويَفهَمَ عَنهم .

قالَ السَّائِل: ولِمَ لم يكَلِّمْهُمْ بربوبيَّتهِ التي ليسَ فيها هيئَة ولا صورَة ؟

قالَ العالِمِ: قَد رأينـا صوراً كثيرَة لا يُفهمُ بَعضُـها عَن بَعض ولا يَفهَمُ الشيء عَن خِلافِ جِنسهِ فهوَ بخلافِ الأشياء كلّها فكيفَ يُفهَمُ عَنهُ الأمرُ والنَهي.

قالَ السَّائِل: بقدرتهِ.

قالَ العالِمِ: إنَّ قُدرَتهُ أزليَّة فكيفَ يفهَمُ عَنـهُ المحدَث ؟ والمحدث لا يفهم عن المحدث إلا إذا كانَ مِثلَ جِنسه.

قالَ السَّائِل: يريدُ ذَلِكَ فيكون.

قالَ العالِمِ: إنَّ الكونَ على ثلاثَةِ أوجُه كون يُمكِن وكون لا يُمكِن وكون لا لا يُمكِن .

قالَ السَّائِل: فما الكون الذي لا يُمكِن ؟

قالَ العالِمِ: الكون الذي لا يُمكِن بأن يَجعل الحقَّ باطِلاً وأن يَكُون النَبيِّين كذابين فهذا لا يُمكِن لأنّهُ لو أمكِنَ كانَ الباطِلُ حَقّاً والصّادِقُ كاذِباً والجَنَّةُ ناراً.

قالَ السَّائِل: فما الكون الذي يُمكِن ؟

قالَ العالم: يُميتُ الأحياء ثُمَّ لا يَخلقُهُمْ ولا يَبعَثُ أنبياء ولا يُخلقُ جَنَّةً ولا ناراً ولا بَعثاً ولا حِساباً وما أشبه ذَلك هذَا لا يُمكِن.

قالَ السَّائِل: فما الكون الذي لا يُمكِن ولا ولا يُمكِن ؟

قالَ العالِمِ: قولُ القائِل لو لِمْ يَكُن للَّه عِلم ولا كلام ولا قُدرَة فأيُّ

شـيء كـانَ يكـون والمثـلُ فـي ذَلِك إذا خَلـقَ شيئاً علـى هيئَتـهِ لا يُمكِنِ إلا أن يَكون على هيئَتهِ التـي خَلَقَهُ بِها ولا يُمكِن أن يَكونَ على خِلافِ هيئَتهِ بَل لا يُمكِن ما خَلَقَهُ اللَّه . عَزَّ وجَل . أن يكونَ خَلقاً لغيرِ اللَّـه ولا يُمكِنُ ذَلِكَ لأنَّـهُ ليسَ خـالِق غيرُ اللَّـه والـذي يُمكِنُ أن يَنقُلَـهُ مِن حـالٍ إلـى حال يَقدر أن يُميتَ الحـي ويُحيـي الميِّت ويُغيِّرَ خِلقَةَ الإنسان وخِلقَـةَ البهيمَـة إلـى ما يشـاء ومـا لا يُمكِن.

قالَ السَّائِل: فما الذي يُمكِن ولا لا يُمكِن ؟

قالَ العالِم: أن يَجعَلَ الصِّدقَ كَذِباً والكَذِبَ صِدقاً والجَنَّةَ ناراً والنارَ جَنَّةً وذَلِكَ تناقُض وافتِراءٌ على اللَّه وتَعطيلُ ربوبيَتَهُ .

قالَ السَّائِل: فعُد أيُّها العالِمُ: إلى إثباتِ التوحيد .

قالَ العالِم: لا بُدَّ أن يَجعل هيئَتـهُ مِثلَ جِنسِ خَلقـهِ حَتَّى يُكَلِمُهُم فيفـهَموا عَنـهُ أمرهُ ونـهيَهُ.

قـالَ السَّائِل: فيظهر كأنَّـهُ خَلقه إذ يَخلـقُ خَلقاً يَستَتِرُ بـهِ فيتَكَلَّمُ مِنـهُ .

قـالَ العالِم: هذا مِمَّا لا يُمكِنُ أن يكون يحـوِّلُ نفسَـهُ عَن هيئَتـهِ ولَكِنَّهُ يَخلَقُ خَلقاً فيَحتَجِبُ بـهِ ويَتَكَلَّمُ مِنهُ.

قالَ السَّائِل: ومِن ذَلِكَ الخَلقُ صورة واحِدَة أو صوراً كثيرَة ؟

قالَ العالِم: إنَّ اللَّه خَلقَ مِن كلامهِ صورةً ومِن روحهِ صورَة ومِن نـورهِ صـورَة ومِـن إرادتـهِ صـورَة ومِـن علمـهِ صـورَة ومِـن قُدرَتـهِ صورَة ومِن ضيائهِ صورَة وكُلّها على صورَةِ الإنسانيَّة ثُمَّ إنَّ اللّـه خَلَقَ اثنـي عشَرَ صورَة نورانيَّة على عَدَدِ الأشهُر الاثنى عَشَر ثُمَّ خَلَقَ صورةً كبيرَة وقيلَ صورتهُ بيدهِ فخاطَبَ اللَّه خَلقَهُ مِنـها .

قالَ السَّائِل: فثَبَتَ أنَّ اللَّـه يُكَلِّمُ خَلقـهُ وهوَ بـهيئَتـهِم وهُمْ بـهيئَتـهِ فيَفـهَمون عَنـهُ ويَعلمونَ أنَّ صورَهُم مَخلوقَة وأنَّـهُ خالِق وأنَّـهُ يَفعَلُ ما يشاء .

قالَ العالِم: نَعَم إذا شاءَ نَطَقَ علـى ألسُنِ النَبيِّين، وقَد أخبَرَتنـا بِذَلِكَ الكُتُب والأنبياء والرُسُل يَدلُّونَ على مِثلِ الفِطرَة التـي فطَرنـا اللَّه عليها لأنَّ اللَّه خَلَقَ كُلَّ شيءٍ على العَدل والنصفَة والحَق.

والأنبياءُ والرسُل ميزان وزنـه واحِد ومَعدَنـه واحِد، وجنـس الفِطرَة بِما في الأنبياءِ والرُسُل بِما في الفِطرَة وَزن واحِد وخَلق واحِد.

قالَ السَّائِل: أرأيتكَ أيُّها العالِم مَن لَم يبلغـهُ نبيٌّ ولا رَسول أيَعلَمُ ذَلِك.

قالَ العالِم: نَعَم إنَّـهُ ظَهَرَ في مَعرِفَةِ الرَّب بهيئَتهِ وصورَتهِ وأنَّ لَـهُ حياةً ونطقاً وأنَّـهُ لا ناطِقَ إلا مِن جِنسـهِ وأنَّـهُ خَلَقَ ما يُنـاطِق بـهِ الجسم عَنـهُ وأنَّ صورتَـهُ على صورَةِ الإنسان إذا كـانَ لا نُطقَ إلا

للسان مِنَ الإنسان وأنَّ لَـهُ إرادَة وكراهيَّـة ومَحَبَّـة ويَعلَمُ أنَّ مِن حِكمته أن يُرسِلَ إلى خَلقهِ رسولاً فيُظهِر لَهُم قُدرَتـهُ،ويَعلَم أنَّـهُ لا بُدَّ مِن أن يُنصِفَ خَلقَهُ مِن نَفسهِ حَتَّى يُشاهِدوهُ على مَعرِفَتهِ .

قالَ السَّائِل: يُريدُ إذاً أن يكونَ نَصبَ أعيُنِهم بالليلِ والنّهار .

قالَ العالِم: إذا رأووا قُدرَتـهُ مَرَّة واحِدة أجزاهُم أن لا يُريهم ثانيَةً وفي ذَلِكَ مُقنِع ويَجعَل لَهُم السَبيلَ إلى رؤيتهِ وذَلِكَ مَعرِفَةُ مَن لا يَعرف الأنبياء والرسُل .

فأمَّا مَن يَعلَمُ أنَّ للَّه رسُلاً وأنبياء يقومونَ بأمرهِ ونَهيهِ فعليهِ أن يُكَلِمَهُم حَتَّى يَعرِفهُمْ فإنَّ العاقِل إذا تَدَبَّرَ وفَكَّرَ وجَبَ عليهِ ذَلِك لئلا يكون للخَلقِ على اللَّه حَجَّة .....

ذكر الميزان والسؤال عَن أسمائه

قالَ السَّائِل: أيها العالِم إنَّكَ قُلتَ أنَّ لِكُلِّ شيءٍ ميزان وأنَّ الرسُل لَهُم ميزان،واتّفقَ أنَّ ميزانهم أقدَمُ ميزان، وللرَبِّ ـ عَزَّ وجَل ـ ميزانٌ بالوِحدانيَّة والصورَة ميزان،وميزانُ الحَقِّ مِنَ الباطِل وميزانُ ما كانَ قَبلنا وميزانُ ما يكون بَعدَنا وعَمَّا هوَ فيهِ الميزان .

قالَ العالِم: كُلُّ شيءٍ لا يَزِنُ بَعضهُ بَعضاً فهوَ باطِلٌ،وكُلُّ ما خَبَّرَ عَن صاحِبهِ باطِل حَتَّى يُعرَفُ الحَق الذي إذا غابَ عَنك،والذي لا يكون نَصبَ عينيك الميزانُ بالميزانِ يُعرَف آخِرَ الأمرِ مِن أوَّلهِ

ويُعرَفُ وسَطَ الأمرِ بالميزان،وموازين ثلاثَة لا يغني بعضها عَن بَعض لأنَّ الحَقَّ موازين والباطِل مُتناقِض،والحَقُّ يَقومُ ميزانُهُ،والباطِلُ ينقضُ ميزانَهُ.

قالَ السَّائِل: أخبِرني بميزانِ الحَق حتى أوزنُ به والباطِلُ مُتَناقِضٌ ميزانهُ.

قالَ العالِم: إنَّ ميزانَ الظَنِّ يفسُد وميزانُ الوهمِ يَتَغيَّر وميزانُ الحَقِّ يَثبُت .

قالَ السَّائِل: أخبرني عن هَذهِ الموازين ما هيَ وكيفَ هيَ وأيُّ شيءٍ هيَ .

قالَ العالِم: نَعَم.

قالَ السَّائِل: فهُم الأنبياء ـ عليهِم السّلام ـ .

قالَ العالِم: هُم في الميزان وليسَ هُم الميزان بَل هُم عَدلَهُ.

قالَ السَّائِل: هُم المؤمنون .

قالَ العالِم: بهِ يكثرون ويقِلُّون ويزيدون ويَنقصون .

قالَ السَّائِل: فهُم إذاً الرَّب إذا ظَهَرَ في خَلقهِ.

قالَ العالِم: هُم لسانُ الميزان .

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن هَذا الميزان كيفَ هوَ ؟

قالَ العالِم: نقِّ قَلبِكَ،وفَرِّغ لي ذِهنَك إنَّما أوَّل ميزانٍ يوزنُ بهِ

الحَقُّ هوَ الحق فإثباتُ القَديمِ قَبلَ المُحدَث كإثباتِ الميزان قَبلَ أن يوزَنَ بهِ،وليسَ مِن آلةِ شيء إلا هو قبل الشيء وكذَلِكَ اللَّه خَلَقَ العَقل قَبلَ أن يعقل به واليَد قَبلَ أن يَعمَل بِها والعين قَبلَ أن يَنظُرَ بِها وكذَلِكَ الفاعِل قَبلَ الفعل ووزنُ الحدث والقَديم لأنَّ الفاعِلَ قَبلَ فِعلهِ .

قالَ السَّائِل: فما وزنُ القدم والحدث .

قالَ العالِم: هذا المُحدَث هوَ وزنُ القدم وليسَ هوَ وزنُ الإثبات وذَلِكَ أنَّ المُحدَث جاءَ فلَمْ يَنفي القَديم وجاءَ القَديم نَفى المُحدَث وذَلِكَ أنَّ الحادِث ليسَ مِن فِعلِ القَديم ولو كانَ فِعلَهُ لَمْ يَنفيه وذَلِكَ أنَّ القَديم صِفَة مَعبودَة فاعتازَ الرَّب صِفَةَ المُحدَث مِنَ المُحدَثين فصارَ يوصِفهما بوصف ويرونَهُ كما يرونُ أنفُسَهُمْ وعِندَما يرونَهُ بالحدث لا يرونَهُ بالقدم .

قالَ السَّائِل: فما وَزنُ ذَلِك ؟

قالَ العالم: إنَّهُ كانَ يوصَفُ بلا حَرَكَة ثُمَّ وصِفَ بالحَرَكَة فهوَ يوصَفُ بها لأنَّهُ أرادَ بَعدَ إذ لَمْ يَكُن مريداً وشاءَ بَعدَ إذ لَمْ يَكُن يشاء وخلق بَعدَ إذ لَمْ يَكُن خالِقاً فيُقالُ أنَّهُ كانَ خالِقاً كما أنَّ الميزان كانَ ولا يوزَنُ بهِ فصِفَتهُ بالجَمادِ والسّكون حَتَّى تَحَرَّكَ بالوَزن فصِفَةُ القدم الجماد وصِفَةُ الحدث الحَرَكَة .

قالَ السَّائِل: وكيفَ ذَلِك وكيفَ تَسميَتهُ في ذَلِك وكيفَ تَسميتهُ في الوَزن والحَرَكَة إذ تقول أنَّ القدم صارَ حدثاً

قالَ العالِم: وكذَلِكَ نقولُ في الميزان أنَّهُ كانَ ميزان فصارَ وَزَّان لأنَّهُ بِقول هَذا الميزانُ يوزَنُ بهِ فالصِفَة وَزنُ الجوهَر.

قالَ السَّائِل: الميزانُ ذو هيئَة.

قالَ العالِم: الميزان ذو صِفَة.

قالَ السَّائِل: فالقدم هوَ الذَّاتُ والصِفَة.

قالَ العالِم: لا بل القدم صِفَة وليسَ وزنُ الصِفَة وزنُ الجوهَر.

قالَ السَّائِل: وكيفَ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: تقول هوَ الميزان هوَ لا يوزَنُ بهِ شيء وصِفتهُ تَركُ الوَزن وهوَ الميزان وكذَلِكَ تقولُ في الصِفات وذَلِكَ أنَّ القدم مِن صِفاتِ اللَّه أي لا فِعلَ لَهُ والحدث لَهُ فعل فذَلِكَ فَرق بينَ مَن لَهُ فِعل وبينَ مَن ليسَ لَهُ فعل.

قالَ السَّائِل: فنفي القدم عَنهُ.

قالَ العالِم: في الصِفَة لا في الكون وصِفَةُ القديم الجوهَر في الكون فأقولُ هذا الرَبُّ القَديم مُضافاً إليه وكذَلِكَ أقولُ في الميزان ذاته ذات وزّانه ولا أقولُ ذاتهُ تَزِن وأقولُ ذاتُ اللَّه خالِقة ولا أقول خَلق لأنَّ الخَلقَ فعل والذَّات ليسَت بفعل وأقولُ خالِق ولا

أقولُ يخلُق وأقولُ ميزان ولا أقولُ يوزن حَتَّى يوزن بهِ فذَلِكَ وَزنُ ذَلِك.

قالَ السَّائِل: فما وَزنُ مَن لا شَريكَ لهُ ؟

قالَ العالِم: القَديمُ صِفَةُ الواحِد لا صِفَةُ الإثنين ولو كانَ صِفَةُ الإثنين لكانا قَديمين ولَم يَكُن قَديماً واحِداً لصِفَةِ اثنين كما تقول ميزانين يوزَنُ بِهِما وَزناً واحِداً ولا يقول وَزناً يوزن بهِ ميزانين لأنَّ الميزان يوزَنُ بهِ عَشرَةُ دراهِم ويوزَن بالميزان الآخَر فيوجَدُ مِثلُ ذَلِك وهوَ وَزنٌ واحِد بالميزانين ولا يكون الميزانين واحِد لأنَّ الوَزن عَرض والميزان جوهَر وذَلِكَ لأنَّ القدم صِفَةُ الواحِد وليسَ هوَ صِفَةُ الاثنين.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: تقولُ واحِد لواحِد، واحِد لَهُ القدم فلمَّا رَجِعَ الكلام أوَّله على آخرِهِ كانا وزناً ولو قُلتَ قدماً واحِداً لقَديمين كان يكون قَديمين لقَديمٍ واحِد فكانَ يكون وزناً واحِداً والميزان ميزانٌ واحِد لميزانين، والميزانان واحِد فيَبطُل مِنهُما واحِد عَن الوَزن لأنَّ الثاني تبعَ للأوَّل ووَزنُ ذَلِكَ العَدَد تَقولُ واحِد واثنين ولا تَقولُ اثنين وواحِد فذَلِكَ وَزن لأنَّهُ لا شَريكَ لهُ.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ أنَّهُ ناطِق ؟

قالَ العالِم: إنَّ الناطِق مُعَبِّر عَن الإرادَة وليسَ الإرادَة مُعَبِرَة عَن النَّاطِق.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: الميزان يوزَنُ بهِ وليسَ الوزنُ يوزن الميزان.

قالَ السَّائِل: فما وَزنُ الكلام مِنَ الإرادَة ؟

قالَ العالِم: الإرادَةُ لا تُفهَم والكلامُ يُفهَم كما أنَّ وزن كُلِّ شيء كامِن في الميزان فإذا وُزِن تبيَّنَ كُلُّ شيءٍ فيه، وتجده تبين عدده.

وكذَلِكَ الإرادَة كامِنَة والكلامُ مُبيَّن.

قالَ السَّائِل: فكيفَ صارَ لَهُ صورَة.

قالَ العالِم: لِحاجَةِ المَخلوقين إليها كحاجتِهِم إلى الكلام لأنَّه لا كلامَ إلا مِن صورَة.

قالَ السَّائِل: وما وَزنُ ذَلِك.

قالَ العالِم: الميزانُ صورتهُ لا تُعرَفُ بهيئَتهِ إلا مِن بَعدِ صورتهِ.

قالَ السَّائِل: وكيفَ يَظهَرُ بِقُدرَتهِ وعِلمهِ.

قالَ العالِم: لأنَّ مَعرِفَتهُ بالعِلمِ والقدرَة فأتاهُم مِن حيثُ يعرفونه وهُم أرواح صورهم كصورتهِ.

قالَ السَّائِل: وما وَزنُ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: الميزانُ صورتهُ لا تُعرَفُ إلا كهيئتهِ والميزانُ الذي يوزَنُ بهِ عَشرَةُ دراهِم يَخفي فيهِ وزنَ دِرهَم فيجعَل في ميزان صغير يخرج فيه وَزن دِرهَم والميزان مِنَ الميزان شكله وجِنسه جنسه وكذَلِكَ أظهَرَ قُدرَتهُ بصورَةٍ تُشبِهُ صورهم حَتَّى يَفهَموا عَنهُ الأمرَ والنَهي فقَد يَصِف الكثير مَن يَعرِف القَليل ويَعرِف الكَبير مَن يَعرِف الصَغير ولا تَجوزُ الحِكمَة إلا كذَلِك.

قالَ السَّائِل: مَن هؤلاء الذينَ عَرَفوا القدرَة القَديمَة وكبرياء العلوم الرَصينَة.

قالَ العالِم: هُمْ المؤمنون.

قالَ السَّائِل: فمَن لَمْ يَعرِف القدرَة والعلم.

قالَ العالِم: هُم الكافِرون وهُمْ الذينَ يُسَمُّون اليَهود وذَلِكَ أنَّهُم لا يَعرِفونَ الجنس.

قالَ السَّائِل: فما وَزنُ ذَلِك في القدرَة.

قالَ العالِم: وزنُ ذَلِكَ في الميزان والميزان إن أصلح على طبعهِ يخرج ما أحلت لهُ وما أصلحت لهُ وكذَلِكَ القَديمُ الأزَل يظهر جنسَهُ بِكُلِّ جِنسٍ ونوع ولون وكذَلِكَ المنافِعَ والمضار.

قالَ السَّائِل: فكيفَ يكفر بهِ ؟

قالَ العالِم: نَعَم.

قالَ السَّائِل: فيفسد عليهِ مِن كُفرِهِم شيء ؟

قالَ العالِم: لا ولَكِن يَفسد على الذين كَفروا بهِ.

قالَ السَّائِل: وما وَزنُ ذَلِكَ في ذَلِك ؟

قالَ العالِم: الميزانُ فيهِ كفّتان كُلُّ شيءٍ يوزَنُ بهِ فإن يَقطَعَهُ قاطِع أو يَكسره كاسِر فإنَّما ضررهُ على الذي يَكسرهُ وجوهره جوهَر وازِن الوَزن فيهِ قائِم إلا أنَّهُم لا يَدرون كيفَ يوزَنُ بهِ وهوَ مَكسور وكذَلِكَ الذينَ كفَروا لا يدرونَ كيفَ ربوبيَّتهُ والربوبيَّة قائِمَة.

قالَ السَّائِل: كيفَ الرُّوحُ والكَلِمَة والرَّب ؟

قالَ العالِم: الرّوح هي الإضافَة بواحِدَة وهيَ الجوهَر والكَلِمَة نعت للجوهَر والقَديم هوَ الذي لَهُ النعت وهوَ الأزَل.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ ذَلِك.

قالَ العالِم: الميزانُ هوَ وزَّان وفيهِ الوَزن وبهِ يوزَن فمثلُ الكَلِمَة مِثلُ شيءٍ يوزَنُ بهِ ومِثلُ الرّوح مثل أنَّهُ وَزَّان ومثل القَديم مثل أنَّهُ ميزان.

قالَ السائِل: وكيفَ كانَ في القدم وكيفَ كانَ في الحدث في كيانِ القدرَة والعلم والمشيئَة والرّوح أكانَت كامِلَة كامِنَة فيهِ وكذا نفسه.

قـالَ العـالِم: مِثـلُ ذَلِـكَ مِثـل المـيزان كيانـهُ كَفّتـاه وفيـهِ علاقتـه وعلامتـه مضـافَة إليـه وذَلِـكَ أنَّ أصـلَ المـيزان اللسـان وأصـلُ اللسان التَقويم والكَفتان مُضافتان إليه بالصدق وأنَّ ما يوزَنُ بـهِ إذا كانَت كَفتان لعلّةِ الخَلق ولِحاجَتهِم إليـهِ والعَدَل بينَهُم والأصل باللسان وإن كانَت الكَفَّة زائِدَة أو ناقِصَة فحيثُ كان العلم والقدرَة هناك القادِر لأنَّ القادِر لَهُ عِلمٌ وقدرَة ولا يُقالُ العِلم والقدرَة لهُما قادِر فيَجعَلونَ القادِر لَها وهيَ للقادِر.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ ذَلِكَ وميزانهُ ؟

قالَ العالِم: ميزانُ ذَلِكَ الرّوحُ البسيطة في البَدَن فيَختَلِفُ بالجوارِح ولا يَختَلِفُ بالهَيئَة والجوهَر.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ ذَلِكَ ؟

قالَ العالِم: الميزانُ يَختَلِفُ في هَيئَتهِ ولا يَختَلِفُ في جوهَرهِ.

قالَ السَّائِل: فيجوز أن يوصَفُ اللَّه باختِلافٍ في الجوهَر ؟

قالَ العالِم: لا.

قـالَ السَّـائِل: فـإذا قُلـتَ قـدرَة ومشـيئَة وروح أليـسَ ذَلِـكَ مُختلِـفٌ على اللسان ومُختَلِف في السَمعِ والبَصَر ؟

قالَ العالِم: نَعَم.

قالَ السَّائِل: فكيفَ يَختلِف ولا يَختلِف.

قالَ العالِم: إنَّما يَختَلِفُ بالمَخلوقين وإذا أورى نفسه بالقُدرَة فهوَ إلـهٌ كامِل وإذا أورى نفسـهُ بالمَشيئَة فهوَ إلـهٌ كامِل رَبٌّ أورى نَفسَهُ عِندَ المَخلوقين كيفَ شاءَ نَعتهُ وجوهرهُ.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: الميزانُ يوزَنُ بهِ القَليل والكَثير لحاجَةِ مَن يَزِن بهِ والميزان نَعتـهُ وجوهَرهُ واحِد وكذَلِكَ أورى الرَبُّ قُدرَتَهُ ومشيئتهُ لِحاجَةِ المَخلوقينَ إليه وليُطيعوهُ على كُلِّ جِهَة.

قالَ السَّائِل: وقَد يرى القدرَة مَن لا يَرى الرَّب.

قالَ العالِم: هوَ كذَلِكَ وذَلِكَ أنَّ القدرَة والرَّب أقسامٌ مُختَلِفَة في الاسم والرؤيَة وهيَ في المَعنى والجوهَر واحِد وإنَّما يرَى الأقسامَ مُختَلِفَة ولا يرى الجوهَر مُختَلِف.

قالَ السَّائِل: فأرني القدرَة في الرَّب.

قالَ العالِم: إنَّما على النّاسِ أن يَتَكَلَّموا بِما يَروا وليسَ عليهِم أن يَسمَعوا إلا بِما عَلِموا أنَّ اللَّه ـ سُبحانَهُ وتَعالى ـ رَبُّ كُلِّ شيءٍ وخالِقُ كُلِّ شيءٍ وإله كُلِّ شيءٍ فهَذهِ أسماءُ الأشخاص فإن قالَ قائِلٌ في نَفسهِ أنَّ اللَّه لا يُسَمَّى بِهَذهِ الأسماء فقَد كَذَبَ ظَنُّهُ فإنَّ اللَّه يُسَمَّى بِهَذهِ الأسماء عِندَ المَخلوقين.

قالَ السَّائِل: فهَذهِ الأسماء يَستَحِقُّها أو لا يَستَحِقُّها ؟

قالَ العالِم: يَستَحِقُّها الخاصُّ مِنَ النّاس ولا يَستَحِقُّها عامّهِم بمَعرِفَتهِ وكيفَ يُظهِرُ قدرَتهُ وكيفَ يكونُ لَهُمْ لربوبيَتهِ سَبيل.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: وزنُ ذَلِكَ في الميزان فمَن لَمْ يُسَمِّ الكفَّتين كَفَّتين، واللسان لساناً والميزانَ ميزاناً فقَد جَحَدَ الحَقَّ في الاسم وجَحَدَ ما رأى، وإن لَمْ يُسَمِّهِ ميزاناً أبطَلَهُ فإذا عَلِمَ أنَّ الميزانَ والكَفَّتين واللسانَ يُسَمّى كُلُّ واحِدٍ مِنهُم بِخلافِ صاحبهِ في الصِدق ويُسَمِّى باسمٍ واحِدٍ في الكَذِب فإذا قالَ هوَ ميزان فقَد صَدَق وفيهِ الكَفَّتان واللسان.

قالَ السَّائِل: فكيفَ ذَلِك الرّوحُ والقدرَة مُبَعَّضَتان مِنَ الرَّب كتَبعيضِ الكَفَّتين واللسان.

قالَ العالِم: نَعَم في الرؤيَة وفي الكَلام وأمَّا في جوهَرِ الميزان فلا.

قالَ السَّائِل: ولِمَ طوَّلَ على العِبادِ ولَمْ يُنادهِم مِن موضِعٍ واحِد حَتَّى يُجيبوهُ كلُّهُم بِتَحقيقٍ بِلا تَفريق ؟

قالَ العالِم: قَد فَعَلَ ذَلِكَ ودَعاهُم إلى وِحدانيَتهِ بالقدرَة والعلم.

قالَ السَّائِل: وكيفَ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: إنَّهُ ليسَ في ذَلِكَ لبس ولا تَشتيت إذ كانَت صِفَةُ القُدرَة للقادِر فعلى النّاسِ أن يُجِيبوها مِن حيثُ جاءت ويُصَدِّقوها

كيفَما ظهَرَت وإن اختَلَفَت الصّورة وظَهَرَت القدرَة والمَشيئَة والعلم.

قالَ السَّائِل: نرى القدرَة واحِدَة والأشخاصُ مُتفَرِّقَة مُختَلِفَة.

قالَ العالِم: إنَّما يُعبَدُ صاحِب القُدرَة والعلم الذي لهُ هذهِ الأشخاص المُختَلِفَة.

قالَ السَّائِل: فَزِن لي هَذا الجواب.

قالَ العالِم: وزنُ ذَلِكَ أنَّ الميزان يوزَنُ بهِ هذهِ الأشياء رجح أم لَمْ يرجح سُرِقَ مِنهُ أم لَمْ يُسرَق وإن اختَلَفَت أشخاصُهُ بالصِغَر والكِبَر فنَفسُ الحَق والعَدل والجوهَرُ فيهِ واحِد.

قالَ السَّائِل: فما قِدَمُ الرَّب ؟

قالَ العالِم: لا تَعلم شيء نَعتهُ وجوهره وإذا أرى نَفسَهُ بالرّوح فهوَ عبد كامل رَبٌّ أرى نَفسَهُ عِندَ المَخلوقين كيفَ شاء.

قالَ السَّائِل: ما وَزنُ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: الميزانُ الذي لا يوزَنُ بهِ شيء.

قالَ السَّائِل: فأرى هيئَةَ الرَبِّ كهيئَةِ الميزان.

قالَ العالِم: نَعَمْ.

قالَ السَّائِل: وزِنَ بهِ أم لَم يوزَن والآلَة مُعَلَّقَة عليه.

قالَ العالِم: وكذَلِكَ كانَ الحَقُّ قَديماً مِن قَبلِ أن يُعَلَّقَ عليهِ الآلَة ويَظهَرُ بِها فحينَ احتاجَ النّاسُ إلى الميزان عُلِّقَت عليهِ الآلَة،

وكذَلِكَ الرَبُّ حينَ احتاجَ إليهِ المَخلوق تَصوَّرَ بالقُدرَة وظَهَرَ بالعِلم.

قالَ السَّائِل: فَصِفَةُ الرَّب كصِفَةُ الميزان ؟

قالَ العالِم: نَعَمْ.

قالَ السَّائِل: فأيُّ شيءٍ الواحِد وأيُّ شيءٍ الاثنين وأيُّ شيء الثلاثَة وأيُّ شيء العَشرَة وأيُّ شيء المائَة وأيُّ شيء الألف ؟

قالَ العالِم: إنَّ الواحِد المُنفَرِد بالوحدانيَّة في القِدَمِ والرّبوبيَّة والثَّاني القدرَة والعِلم في الحدث والثَّالث الرُّوحُ المُقَدَّسَة التي هيَ أسُّ كُلِّ شيء.

قالَ السَّائِل: والرَّابِعَة والخامِسَة، صفها لي كما وصفت الثلاثة.

قالَ العالِم: العَدَد لا يَخرُجُ مِنَ الزّوجِ والفَرد فالذَّات بالفَرد والكمال والصّورَة بالأزواج والأعدادُ بالفَرِد والزّوج ثُمَّ يرجع جُملة العَدَد إلى الفَرد بالنسبَة.

يقولُ واحِد ثُمَّ يَقولُ اثنين ثُمَّ يَقولُ ثلاثَة والثّلاثَة تُرَدُّ إلى الفَردِ الأوَّل وهوَ في المَعنى واحِد بالآيَة فَتُرَد الكَلِمَة إلى موضعها ولا ترد صورتَها ولا عَددها وكذَلِكَ الرّبوبيَّة تردّ القُدرَة إلى ربوبيّتها القَديمَة وإلى أيَة واحِدَة إن كانَتِ الأشخاصُ مِن ثَلاثَة وواحِد في واحِد واحِد.

تقول: وكذَلِكَ الرّبوبيَّة وإن كانَ بالظهور ذو آلاتٍ عَديدَة فهوَ في البطونِ والقِدَم واحِد أحَّد فَردٌ صَمَد في الرّبوبيَّة الآزليَّة فتكمّل مِنَ العَدَد ما شِئت لا يَخرُج مِنَ الزّوجِ والفَرد لأنَّ الواحِد قَبلَ الاثنين.

قالَ السَّائِل: فَزِن لي ذَلِك.

قالَ العالِم: الميزانُ لَهُ ثلاثَةُ أعداد كَفَّتين ولِسان وهوَ جوهَرٌ واحِد في الوَزن فَكُلُ ميزانٍ يَكون بِكَفَّتينِ ولِسان فَهوَ دليل على الحَق واللسان قَبلَ الكَفَّتين مُقيمٌ على الحَق، والكَفَّتانِ عيار، وكذَلِكَ المَشيئَة والقدرَة دليلان على الحَق والحَق القدس والجَميعُ عَدل.

قالَ السّائِل: أيُّها العالِم إني أريدُ أن أسألكَ عَن ثَلاثِ مَسائِلٍ في التَوحيد لا أريدُ مَعَها رابِعَة ولا أظنُّ إنّي أحتاجُ مَعَها إلى غيرِ ذَلِك.

قالَ العالم: لَعُمري إن عَرَفتَ هَذهِ الثَلاثَة مسائِل لَنْ تَحتاج مَعَها إلى غيرِها فاسأل بتوفيقِ اللَّه وعونهِ.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَنِ اللَّه ما هوَ وما هوَ اسمه.

قالَ العالِم: هوَ اللَّه.

قالَ السَّائِل: هوَ اسم أم مَعنى ؟

قالَ العالِم: هوَ مَعنى.

قالَ السَّائِل: فلا بُدَّ للمَعنى مِن اسم ليَعرِفَهُ النّاسُ بهِ وذَلِكَ أنَّ

اللَّه اسمٌ لنَفسهِ ومَعنى لَها.

قالَ العالِم: فطنت لذَلِك.

قالَ السَّائِل: بتوفيقِ اللَّه ـ عَزَّ وجَل ..

قالَ العالِم: اسمهُ 26 الذي قَد علا على كُلَّ اسم.

قالَ السَّائِل: فهوَ اسمٌ أو مَعنى مِنَ الاسم لِيَعرِفَهُ النَّاس ؟

قالَ العالِم: إنَّ اللَّه اسمٌ لِنَفسهِ واسمهُ ـ عَزَّ وجَل ـ الذي عَلا على كُلِّ اسم.

قالَ السَّائِل: فهَل للَّه مِن مثل ؟

قالَ العالِم: يَقَعُ ذَلِكَ في الظّهور ولا تقَعُ عَليهِ المُماثَلَة في البطونِ والجوهَر.

قالَ السَّائِل: فلَهُ ضِد ؟

قالَ العالِم: إذ لَمْ يَكُن لَهُ مثل فكيفَ يكونُ لَهُ ضِد.

قالَ السّائِل: فما نسبتهُ في القدم وما القدرَة ؟

قالَ العالِم: فالقدم لا يَحتاجُ أن ينسبَ نَفسَهُ إلى نفسهِ وإنَّما يَحتاجُ إلى النِسبَة مَن احتاجَ إليها ومَن كانَ مِنها.

قالَ السَّائِل: نَفي الضد والمثل والجوهَر والاسم فأينَ النسبَة ؟

قالَ العالِم: عِندَ العلم والقدرَة.

قالَ السَّائِل: هَذان شاهِدان عادِلان.

قالَ العالِم: فزِد للَّه شُكراً وإلى طاعَتهِ طوعاً وأجِب ربَّكَ مِن حيثُ ما دَعاك تَجِدهُ مَليّاً وفيّاً برَحمَتهِ وثوابهِ لمَعرِفَتِكَ إيَّاه.

قالَ السَّائِل: أيُّها العالِمِ أريدُ أن أسألَكَ عَن سَبعَةَ عَشَرَ مَسألَةَ.

قالَ العالِم: ما هيَ والسَبعَةَ عَشَرَ مَسألَة تُثبِتُ على الدهور وعرفت الأزمِنَة وتبين لكَ الأوقات وما هوَ آتٍ وأردتَ أن تَعرِفَ ما فات فاسأل روحَ القدس فهوَ قُربَك.

قالَ السَّائِل: أخبِرني عَن الجوهَرِ القَديم والجوهَر المُحدَث والصّورَة القَديمَة والصّورَة المُحدَثَة والنَقلَة في الصّورَة.

قالَ العالِم: الجوهَرُ القَديم المُنتَقِل حيثُ يشاء يظهَر بِما يَشاء والجوهَر المُحدَث الذي لا يَظهَرُ كيفَ يشاء ولا يَنتَقِل كيف يشاء.

قالَ السَّائِل: فأينَ يَنتَقِل الجوهَرُ القَديم وأينَ يَعجَزُ الجوهَرُ الحَديث ولِمَ سُمِّيَ باسمٍ واحِد؟

قالَ العالِم: الجوهَرُ القَديم يَنتقِل في الصّورَة كلّها لِتَذكِرَة وتَنبيه على توحيده ويَدِلُّ على قِدَمهِ وربوبيَّتهِ وغيرُ ذَلِك، وأمَّا الجوهَر المُحدَث يَدِلُّ على عَجزه ونتائِج جِنسهِ، والعَجزُ في الانتقال عَن ذَلِك وأمَّا الاتِفاقُ في الاسم فإنَّ الاسمَ موجودٌ وليسَ بعَدَم اتِّفاق في الاسمِ الموجود ولا ناحيَة مِن كُلِّ أحَد واحِد.

قالَ السَّائِل: وهَذان مِن كُلِّ ناحيَة أو مِن ناحيَةٍ واحِدَة ؟

قالَ العالِم: إنِّي مُبيِّناً لَكَ ذَلِك....

قالَ السَّائِل: إذا كانَ قَديمُ الجوهَر يبصر مِن حيثُ لا يسمع ويسمع مِن حيثُ لا يبصر ويَتَكَلَّم ولا يبصر ولا يسمع ولا يعلم كصورة الجوهَر الإنساني كيفَ ذَلِك.

فكانَ جوابُ العالِم كالسَّائِل. وجوابُ السَّائِل كالعالِم وهوَ جوابُ الاستِفهام.

قالَ العالِم: أخبرني إذا عَصيتَ جارِحَةً مِن جوارِحِك لِمَ تعذب الجوارِح الأخرى إذا عَصيتَ بِفَرجِك لَمْ يَلحَق ظَهرَك وإذا عَصيتَ بعينك لَمْ تُعَذِّب نفسك ؟

قالَ السَّائِل: الروح مُشارِكة البَدَن وأنَّ الجوارِح مُشاكِلَة لبَعضِها بَعض .

قالَ العالِم: أيُّ شيء يُشارِكُ العينَ مِنَ الجوارِح والعينُ لا تَسمَع وكذَلِكَ الأذنُ تَسمَع ولا تُبصِر وكذَلِكَ جميعُ الجوارِح باختِلافِها لا تُشبِهُ بَعضَها بَعضاً.

قالَ السَّائِل: مُشتَرِكَة بالجِنس.

قالَ العالِم: وما ذَنبُ الجنس إذا فَعَلَ بعضهُ وبَعضُه الآخَر لَمْ يَفعَل.

قالَ السَّائِل: إنَّها مُتَّصِلَة بَعضها في بَعض.

قالَ العالِم: وما ذنبها إذا كانَت مُتَّصِلَة ولَمْ يَكُن كُلُّها يُشبهُ بَعضَهُ بَعضاً.

قالَ السَّائِل: كذا التَراكيب فيهِ ظلم يظلم بَعضهُ بَعضاً.

قالَ العالِم: يُؤخَذُ الصَبيُّ بِذَنبِ أبيهِ وأمّهِ لقَد جِئت شيئاً شَطَطاً.

قالَ السَّائِل: إنَّ النَفسَ مُرَكَّبَة في البدَن وأنَّ العَمَلَ للنَفسِ لا للبَدَن.

قالَ العالِم: ولِمَ يُضرَبُ البَدَن وتُقطَعُ الأيدي.

قالَ السَّائِل: هُما مُشتَرِكان.

قالَ العالِم: وأينَ كانَ البَدَنُ حينَ لَمْ يَكُن وكانَتِ الأرواحُ بِلا أبدان.

قالَ السَّائِل: فقَد جاءَ البَدنُ بعده.

قالَ العالِم: كِلاهُما مشتركين وليسَ هُما جِنسان يُشبهان.

قالَ السَّائِل: إن تسأل ولا تسأل.

قالَ العالِم: رَجِعَ الحَقُّ إلى أهلهِ فما تَقولُ في رَجُلٍ أو أمّهِ أطاعَت اللَّه بعينِها وعَصيَت بِفَرجِها أو أطاعَ العَبدُ بلسانهِ وعصيَت يدهُ فيقسم جوارِحَهُ فيَجعَل نِصفَها في الطَّاعَة ونِصفَها في المَعصيَة أتُرى يُقسَمُ بدنَهُ وروحَهُ فيُجعَلُ نِصفهُ في النَّارِ ونِصفهُ في الجَنَّة.

قالَ السَّائِل: إنَّ اللَّـه فَضَّلَ العُلَماءَ وجَعَلَ نورَهُمْ سِراجاً للجُهَّال وفَضَّلَ اللَّه العُلَماءَ لِما جَعَلَ عِندهم مِن كنوزِ العِلم وبيانِ الحَق.

قالَ العالِم: فإنَّ النفسَ جوهَرٌ بَسيط على غيرِ كيفيَّة وجَعَلَ البَدَنَ آلـةً لها فرَكَّبَ فيـهِ الأدوات وكل الرّوح تُبصِر بالعَين وتَسمَعُ بالأذُن كلّها وكذَلِكَ يَنطُقُ مِنَ اللسانِ بكلّه ويَمشي بالرِجلين بكليهما ويَبطشُ باليَدين بكليهما وكذَلِكَ النُكاح.

قالَ السَّائِل: فكذَلِكَ يُعاقِبُ الكُل.

قالَ العالِم: كذَلِكَ في التوحيد إنَّ اللَّه خَلَقَ هّذهِ الصّورَة وجَعَلَ فيها الرّوح فأبصَرَ مِن حيثُ تُبصِرُ الصّورَة فكُلّهُ فيها يُبصِر وكُلُّهُ فيها يَنطُق وكُلُّهُ فيها يَسمَع وكُلُّهُ عالِم وكُلُّهُ قادِر وكُلُّهُ أوَّل وكُلُّهُ آخِر وكُلُّهُ باطِن وكُلُّهُ ظاهِر وهَذهِ الآلات كآلاتِ الإنسان وخلقَ المُبصِرات والمَسموعات لنفسهِ فأظهَرَ لِخَلقهِ أنَّهُ يَسمَعُ المَسموع ويُبصِرُ المُبصَر ويُكَلِّمُ المتكلّم لأنَّ الخَلقَ لا يَعرِفونَ الكَلام في الأدوات إلا بالنِطقِ والسَمَعِ والبَصَر كذَلِكَ فمَن يبصر كما خلقَها ويَسمَع كما خَلقَها وهوَ يُبصِرُ بِكُلِّهِ ويَسمَعُ بكُلِّهِ وعلم كلّه وقدرَة كُلّه.

قالَ السَّائِل: فتَكَلَّمَ بِنِطق.

قالَ العالِم: إنَّما يَنطقُ باللَّهاة المُتَّصِلَة إذا كانَ بالصّورَة المُحدَثَة

هوَ بقِدَمـهِ بخـلافِ ذَلِك لأنَّـهُ جوهَرٌ واحِدٌ غَيرُ مُتَجَزِّيء بـأدواتٍ مُختَلِفَة فتَكَلَّمَ اللَّه مِنَ الإرادَة كذَلِكَ النورُ البَسيط.

قالَ السَّائِل: هَذا الإنسانُ وصِفَتهُ وكذَلِكَ الرَبُّ وصِفتهُ فما الفَرقُ بينَهُما بالصِفَة والجوهَر ؟

قالَ العالِم: الفَرقُ بينهما أنَّ الجوهَرَ المخلوق لَهُ مثل والجوهَرُ القَديمُ الخالِق لا مَثيلَ لَهُ.

قالَ السَّائِل: وما الفَرقُ الثَّاني ؟

قالَ العالِم: هَذا جوهَرٌ عاجِز وذاكَ جوهَر قادِر هَذا جوهَرٌ مِن تَدبيرِ ذاك وليسَ ذاكَ مِن تَدبيرِ هَذا.

قالَ السَّائِل: فكيفَ خَلَقَهُ على هَيئَتهِ ؟

قالَ العالِم: لأنَّ هيئتَه الحياة والإرادَة والنطق فلو خَلَقَهُ على خِلافِ هيئتهِ كانَ لا حَيَّاً ولا ناطِقاً ولا فاهِماً ولا عالِماً وإنَّما خَلَقَهُ بِهَذا لأنَّهُ عَلِمَ أنَّ الحَيَّ يَفهَمُ عَنِ الحَي والنَّاطِقُ يَفهَمُ عَنِ النَّاطِق إذا كانَ بِلُغَتهِ وجنسهِ.

قالَ السَّائِل: قَد كُنتُ أظنُّ أنِّي أعرِفُ اللَّه بِصورَةِ الأنبياءِ والرسُلِ والأوصياء وصورَةِ القدرَة الروحيَّة والنَفسيَّة فكانَ أكبَرُ الإيمانِ وأكبرُ الحَق كيفيَّتهُ في توحيدِنا، ومَعرِفَة رَبِّنا وهيئته، ولِمَ خَلَقَ خَلقَهُ على هيئتهِ

قالَ العالِم: أريتُكَ الوَزنَ وكُلَّ شيءٍ سألتَني عَنهُ كانَ يوازِنُ جزءاً ولما دَللتُكَ عليهِ والآن فليأمَن روعَك عَرَفتَ رَبَّكَ وهيئته في القدمِ والحدث وهيئته مِن كُلِّ جَهَة وصورَتهُ في الولادَة والفَرقُ ما بينهُ وبينَ خَلقهِ فقَد بانَ لَكَ الحَق.

قالَ السَّائِل: يَعلَمُ اللَّه ما لا يكون فيكون ولا يَكون ويُخبِّر بِما يكون فيكون.

يُخَبِّرُ اللَّه بشيءٍ أنتَ تَعلمُهُ إلى سَنَةٍ وإلى مائةِ سَنَة ولا يَفعَل ويُخبِر فيَفعَل والإنسانُ قَد يُخبِرُ بِما يكون فإن لَمْ يَكُن كانَ كاذِباً وإن وَعَدَ الإنسانُ ميعاداً فإن لَمْ يَفعَلْهُ كانَ كاذِباً فما الفَرقُ بينَ ميعادِ المَخلوقِ والخالِق ؟

قالَ العالِم: لا يَشتَرِكُ المَخلوقُ والخالِق بهَذهِ الأفعالَ والصِفات لأنَّها أفعالٌ مُتَناقِضَة والمُتناقَضَة ليسَت مِن فِعلِ الحِكمَة فاسمُ المَخلوق يُكَذِّبُها ويُبطِلُها والخالِقُ يُخَبِّرُ بِما يكون فيَصدُق فإذا أظهَرَ آيَة عُرِفَ فيها صِدقُهُ.

لَمْ يُبالِ أن يكونَ ما قال لأنَّ الكون إنَّما هوَ التَصديقُ مِنَ اللَّه إنْ شاءَ فَعَلَهُ وإن شاءَ لَمْ يَفعَلْهُ فذَلِكَ الخَبَر الذي يُخبِرُ عَنهُ عَن نَفسهِ، وتأخيرُ العقوبة تَأديباً للنَّاس فإن تَأدَّبوا رَدَّ العقوبَة عَنهم وما وعَدَهُم إيَّاه يقول أن تَبقوا على ما أحِب فَرَّجتُ عَنكُم وإن لَمْ

تَبقوا على ما أحِب عاقَبتُكُم وإن فَعَلتُم ما أحِب أثبَتُّكُم فيخلف الوَعدَ والوَعيد فإنَّهُ ليسَ حِكمُ حَكيم وإنَّما هوَ ثواب وعِقاب فلِذَلِكَ يَختَلِفُ في التَقديم والتَّأخير وأمَّا تَغييرُ الحِكمَة فهيَ أصلُ الجوهَر هوَ لا خِلافَ فيها.

إذ قالَ شَيئاً كان وإذا وَعَدَ شيئاً صَدَق فإذا أرادَ حكمتهُ بينَها، فذَلِكَ ما لا رَجعَةَ فيه ولا خِلاف وإنَّما الخِلافُ يَكونُ لعِلَّةِ الخَلق، كذَلِكَ قالَ لقومِ يونِس إنِّي أعَذِّبَكُم فلَم يُعَذِّبهُم وكَذَلكَ قالَ لإبراهيم اذبح ثُمَّ قالَ لا تَذبَح وأشياءُ كَثيرَة في الكُتُب قالَ افعَلوا ثُمَّ قالَ لا تَفعَلوا وأشياء فرَضَها ثُمَّ حَلَّ فَرضَها وأشياء شَدّدها ثُمَّ هوَّنَها فكانوا مُثابين على فِعلِها فَلَمَّا تَركوها عَذَّبَهُم على تَركِها وليسَ ذَلِكَ مِنَ ابتِداءِ الجوهَر ولا خاصّيَتهُ اللاهوتيَّة وإنَّما ذَلِكَ باستِحقاقِ الخَلق مِن أعمالِهِم، فمَن استَحَقّ أن يَرخصَ لَهُمْ رَخص ومَن استَحَقَّ أن يُشَدِّدَ عَليهِ شَدَّدَ عَليه.

وكَذَلِكَ قال تعالى: فبظلمٍ مِنَ الذينَ هادوا حَرَّمنا عَليهِم طيّبات أحِلَّت لَهُم (النساء 160)

وقوله تعالى: ذَلِكَ جزيناهُمْ ببَغيهِم... (الأنعام 146)

يَعني بإنكارِهِم حلولَ اللاّهوت في الأنبياءِ والأوصياء وبصَدِّهِم عَنِ المَسجِدِ الحَرام.

وقوله تعالى: وأكلهِم السحتَ (المائدة 63) والرِبا...
والسُّحت كانَ مَسخاً مُنكَراً،والبيتُ الحَرام هوَ الذي حُرِمَت اليَهود مَعرِفَتهُ.
والإنسانُ إنَّما يُغَيِّرُ قولَهُ ويَخلفُ وَعدَهُ لمَنفَعَةِ نَفسهِ لا لمَنفَعَةِ غيرهِ ولا يَجِدُ مِن ذَلكَ عِوَضَاً لنَفسهِ فهَذا قول فَرق بينَ الخالِقِ والمَخلوق والعَبدِ والمَعبود وفي اختِلافِ الكَلامِ والوَعدِ والوَعيد.
قالَ السَّائِل: ما تَقولُ في ظهورِ اللَّه للخَلق وظهورِ الخَلقِ للَّه ؟
قالَ العالِم: إنَّ الموتَ والحَياة سنة الحدث واللَّه تَعالى يُظهِر نسبَةَ الحَدث في الحياة والموت وذَلِكَ أنَّ الموتَ فِعلٌ مِن فِعلِ اللَّه يُفَرِّقُ بينَ الرّوحِ والبَدَن وسُميَ بذَلِكَ موتاً وكذَلِكَ اللاّهوت إنَّما فارَقَ النَّاسوت لأنَّ الموتَ موتان قَد يكونُ بألَم أو بغيرِ أَلَمْ فإذا كانَ بألَم فهوَ عقوبة لمَحوِ السّيئات واللَّه ليسَ عليهِ عقوبَة مِن غيرهِ.
قَد يكون أن يُهوِّن على المُؤمِن الموت ويُشَدِّدُ عليهِ الموت وذَلِكَ يَبعَثُ القدرَة التي لا يَعلَمُ بها إلاّ هو.
قالَ السَّائِل: أخبرني ما يُريدُ اللَّه مِن خَلقهِ وما يُريدُ الخَلقُ مِنَ اللَّه ؟
قالَ العالِم: يُريدُ اللَّه مِن خَلقهِ أن يَعرِفوا حِكمَتهُ وكلامَهُ وظهورَهُ

مِن أَوَّلِ الخَلقِ إلى آخرِهِ وكونَهُ قَبلَ الخَلقِ وكونَهُ بَعدَ الخَلقِ وكونَهُ مَعَ خَلقهِ.

قالَ السَّائِل: فكونهُ قَبلَ الخَلقِ بالصِفَة وكونهُ بَعدَ الخَلقِ التي يكونُ بَعدَ الخَلقِ.

قالَ العالِم: أمَّا صِفَةُ الجوهَر فنَعَم ولَكِن صِفَةُ العِلمِ فلا.

قالَ السَّائِل: وأيُّ شيءٍ الفَرقُ بينَهُما ؟

قالَ العالِم: قَبل الخَلق يَعلَمُ أنَّهُ يَخلقُ الخَلقَ وبَعدَ الخَلق يَعلَمُ أنَّهُ سيَفني الخَلق بَعدَ أن كانوا، فعِلمُ التَكوين ليسَ هوَ عِلمُ الكون وعِلمُ الكون ليسَ هوَ عِلمُ الفَناء في عِلمهِ وعِلمهم بأنَّهُم كوِّنوا بَعدَ إذ لَم يَكونوا وكذَلِكَ بطونِ هيئتهِ قَبلَ الخَلقِ بِلا حِجاب ومَعَ الخَلقِ بحِجاب ثُمَّ لا حِجاب.

وأمَّا المَخلوق فعِلمهُ ما يكون خِلاف مِمَّا هوَ ولا يَعلَمُ ما لا يَكون مِمَّا لا يَعلَمُهُ والإمكانُ في الخالِقِ والمَخلوق.

يُقالُ للمَخلوق تَعلَمُ ذَلِك فيقولُ نَعَم.

فهَذا ما يُمكِنُ في الخالِقِ والمَخلوق.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَنِ الإمكانِ في اللَّه مِنَ المَخلوق وأخبرني عَن المُمتنِع مِنَ المَخلوق وعن المُمتَنِع مِنَ الخالقِ والمَخلوق والموجِب للخالِق والسّالِب للمَخلوق حَتَّى يكون قَد فَرَّقَ بينَ

الخالِقِ والمَخلوق.

قالَ العالِمِ: الموجِب للَّـه فـي صِفَةَ القدمِ والسَّالِب للمَخلـوق فـي صِفَةِ الحدث والمَخلوقُ قَد يَسلُبُ الحَديث ويُثبِتُ القَديم بَعدَ إثباتِ وجودِ الخالِق في صِفَةِ المَخلوق.

قالَ السَّائِل: ما الواجِبُ للَّه وما الواجِبُ على المَخلوق ؟

قـالَ العـالِمِ: الواجِـبُ للَّــه العِلـم والواجِـبُ للمَخلـوق التَعليـم فهَـذا جوهَرُ الواجِب وأمَّا ما لا يَجِبُ للمَخلوق أن يكون مثل الخالق.

قالَ السَّائِل: فما المُمتنع في اللَّه ؟

قـالَ العـالِمِ: لا يَقـدِرُ المَخلـوق أن يكـونَ مِثـلَ الخـالِق، ويَقـدِر الخـالِق أن يكـون مثـل المَخلـوق فـي الصّـورَة فذَلِكَ الواجِـبُ للَّــه ومُمتَنِـع مِنَ المَخلوق.

قـالَ السَّـائِل: فمـا الـذي يَمتنِـعُ اللَّــه بــهِ مِـنَ المَخلـوق ويَجِـبُ للمَخلوق ؟

قـالَ العـالِمِ: يَجـبُ للخـالِق أن يُظهِـرَ نَفسَـهُ كـالمَخلوق بالصِـفَةِ والصّورَة مِن صَغيرٍ إلـى كبير ولا يَنتَقِلُ فـي جوهَرِهِ وبطونـهِ مِن صَغيرٍ إلى كَبير ويَجبُ على المَخلوق النَقلَةَ مِن صَغيرٍ إلـى كَبيـر فذَلِكَ مُمكِن على المَخلوق ومَنفيٌّ عَنِ الخالِق.

قالَ السَّائِل: فما الواجِبُ للمَخلوق ؟

قالَ العالِم: لا يكونُ المَخلوق على جوهَرِ اللَّه ولا يَكونُ اللَّه على جوهَرِ المَخلوق.

قالَ السَّائِل: فما الواجِبَة للمَخلوق والغالِبَة مِنَ اللَّه ؟

قالَ العالِم: يكونُ المَخلوق مِن نُطفَةٍ مِن تراب في الصورَة ويكونُ اللَّه مُحتَجِب بالحِجاب وظاهِر بتِلكَ الصِفَة والصّورَة لا مِن نُطفَةٍ ولا مِن تُراب.

قالَ السَّائِل: فما السَّالبَة مِنَ المَخلوق والموجِبَة مِنَ اللَّه.

قالَ العالِم: وجَبَت الصّورَة طَبعاً للمَخلوق والبدن سجنهُ والموجِبَة للَّه ظهورهُ بالحِجاب بالشبهِ والصِفَة.

قالَ السَّائِل: فما الغالِبَة في كُلِّ شيء ؟

قالَ العالِم: قَد أخبرتُكَ لأنَّكَ قُلتَ كُل شيء واللَّه لا يَدخلُ في كُلِّ شيء.

قالَ السَّائِل: فما السَّالِبُ للمَخلوق ؟

قالَ العالِم: قَد أخبَرتُكَ عَنِ السالب في بعض المَخلوق.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَنها في كُلِّ المَخلوق نوعاً نوعاً.

قالَ العالِم: إذ لَمْ تَنفَذ بذَلِكَ الكُتُب ولا يَنقَطِع بهِ الأيَّام ولَكِن أعطيكَ فيهِ علامَة.

قالَ السَّائِل: وما علامَتُكَ أيُّها العالِم في ذَلِك.

قالَ العالِم: علامَةُ العالِم البَصير لا يُدرِكَهُ الأحمَقُ الرَقيع.
قالَ السَّائِل: بيِّن لي ذَلِك.
قالَ العالِم: يقولُ كُل شيء فهوَ موجِبَة صادِقَة ويقول ليسَ كُل شيء فهيَ سالِبَة كاذِبَة فيما يُثبِتُ الشيء للشيء بحَقيقَتهِ فهوَ سالِبَة.
قالَ السَّائِل: كأنِّي فَهِمت ولَم أفهَم وكأني عَرَفت ولَمْ أعرِف.
قالَ العالِم: سأخبِرُكَ بقولِ الحياة في كُلِّ حَي وليسَت الإنسانيَّة في كُلِّ حَي فالموجِبَة الحياة في كُلِّ حَي والسَّالِبَة عَن كُلِّ شيء إلا عَنِ الحياة وكذَلِكَ تقول الدَابَّة في كُلِّ الدَواب ولا يَقول الحماديَّة في كُلِّ الدَواب فما عَمَّ فيهِ الجسم فهوَ الموجِبَة وما خَصَّ فيهِ الجنس فهيَ السَّالِبَة لأنَّكَ سَلَبتَها مِن غيرها وتوجبها لِها.
قالَ السَّائِل: فبيِّن لي المُمتَنِع بيانٌ مِثلَ هَذا.
قالَ العالِم: امتِناعَ كُلِّ شيء أن يَدخُلَ في الأحياء وليسَ امتِناعُ الأحياء أن تَدخُل في الأشياء فكُلَّما دخلت فيه مِن اسم أو جنس أو جوهَر فهوَ غير مُمتَنِع مِنكَ أو مِن غيرك فاجعَلهُ إن شِئتَ للقَديم وإن شِئتَ للمُحدَث والمُمتنع على وَجهين مُمتَنِع بِتَركيبِ المَخلوق، ومُمتَنِع بِلا تَركيب الخالق، فالمُمتَنِع بتَركيبِ المَخلوق

والمُمتَنِع بِلا تَركيب الخالِق.

قالَ السَّائِل: أيُّها العالِمِ بيِّن لي ذَلِك بياناً شافياً في الخَلق.

قالَ العالِم: امتِناعُكَ أن تَكون أنثى ولا تَمتَنِعُ الأنثى أن تَكونَ ذَكَراً ولَكِنَّها مَمنوعَة وأنتَ المُمتَنع وهيَ المَمنوعَة وكذَلِكَ النَّاس والدواب والهوام وكُلُّ حي المَمنوع والمُمتَنِع فيه ما قدرت عليهِ مِن كُلِّ شيء فتَركتهُ العِلَّة فهوَ المُمتَنِع وما تريدهُ فلا تَقدِر عليه فهوَ ممنوع فلا يَقدِر عليها.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن صورَة الأشياء كلّها مِنَ الحيوان فهيَ على صورَةٍ واحِدَة أم على صوَرٍ كَثيرَة أيُّها العالِم أبدانها كَثيرَة وأنَّكَ أخبَرتَني أنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم على مِثالِ صورتهِ وقَد زَعَمتَ أنَّ هَذهِ الدواب والهَوام كانَت على صورَةٍ وَلَد آدَم فكيفَ نَقَلَها إلى هَذهِ الصّورَة وهيَ على صورَة في العالم ؟

قالَ العالِم: هيَ على صورَتهِ ما دامت في تكرارِ الإنسانيَّة وإذا انتَقَلَت فليسَت صورتها كما قلبت أبدانها والجنسُ واحِد بالأفعال.

قالَ السَّائِل: فكيفَ يكونُ بجنسٍ واحِد وهيَ صوَرٌ مُختَلِفَة ؟

قالَ العالِم: لأنَّه يوجد فيها الحياةَ والموت والصَحَة والمَرَض والجوع والعَطَش والشَهوَة والنُكاح والنوم فهَذا جوهَرٌ واحِد وإن اختَلَفَت صورتهُ فالأفعالُ غير مُختَلِفَة.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن جوهَرِ الأنبياء والأوصياء وما حَلَّ فيهِ الرَّب مثل جوهَر البَهائِم والقِرَدَة والخَنازير والدود وما أشبَه ذَلِك فإن كانَ ذَلِك كَذَلِك فهذا سَمِجٌ في اللفظِ والمَعنى.

قالَ العالِم: إن كانَ العَبدُ على صورَةِ الرَّب سمَجٌ عِندَ الرَّب إذ كانَ على صورتهِ وليسَ هوَ مِن جِنسهِ.

قالَ السَّائِل: هَذا على غيرِ صورتهِ وهوَ مِن جنسهِ فكيفَ يُشبِهُ هَذا لِهَذا ؟

قالَ العالِم: إنَّما قُلتُ لَكَ أنَّ الصّورَة إذا وافَقت الصّورَة لَن يَضُرَّ صاحِبَها شيءٌ ولو كانَ في الجوهَر واحِد كان صُوِّرَ عليها الخالِق والمَخلوق ويكون المَخلوق مِثلَ الخَلق في جوهَرهِ.

فلَمَّا كانَ جوهَرُ المَخلوق غير جوهَرِ الخالق وصورته مِثلَ صورَةِ الخالِق كانَ الخالِق يَحِلُّ فيه لأنَّهُ مِثلَ صورَتهِ فإذَن ليسَ هوَ مِثلَ جوهَرهِ فإذا نَقَلهُ عَن تِلكَ الصّورَة ذَهَبَت حرمتهُ وذَهَبَ حَقُّهُ وذَهَبَت الصّورَة التي فيها شبهاً لصورَتهِ وذَهَبَ حَقُّهُ وواجِبُهُ فليسَ واجِبهُ على أنَّهُ مَخلوق وإنَّما واجِبُهُ على أنَّهُ صورَة وإنَّ تِلكَ الصورَة على مِثالِ صورتهِ وأنَّ اللَّه احتَجَبَ بِتلكَ الصورَة والصِفَة ولو كانَ واجِبُ الإنسان على أنَّهُ مَخلوق لاحتجَبَ اللَّه بِكُلِّ مَخلوق بالحَجارَة والحَديد فلَمَّا وَجبَ الاحتِجابُ للخَلق وجَبت

الصّورَة للخَلق فلَمَّا جاءَ السخط نَقَلَ الصّورَة إلى خِلافِ صورَتهِ فقَلَبَها ولَم يَقلِب جوهَرَها لِتذهَب حُرمَتُها لأنَّها نَكَرتهُ ولَمْ توجِب حرمتهُ ولَمْ تؤدِّ حَقَّهُ وافترَقَت مِن أمرهِ بالشبه والنَقص والإذلال والقَهر والقَتل فذَلِكَ أذهَبَ حُرمَتَها مِنَ الصَّورَة.

قالَ السَّائِل: لِمَ يُسَمَّ باسمِ الإنسانيَّة وجوهَرهُ جوهَرُ الإنسانيَّة ؟

قالَ العالِم: وإنَّما وَقَعَت عَليها الإنسانيَّة بالصّورَة وإنَّما نَسيَت ما أوجَبَ اللَّه عَليها وهيَ الشَجَرَة التي قالَ لآدَم لا تَقربها وهيَ الكفر.

قالَ اللَّه لآدَم لا تَقربنّ الكفر فأعَرِّيكَ مِنَ الإنسانيَّة وكانَ ولد آدَم في صُلبِ آدَم وذَلِكَ أنَّ آدَم قَرّبَ الكفر على غيرِ مَعرِفَة وغير تَعَمُّد وغير يَقين بالنِسيان والسَهو على تَعَمُّدٍ مِنهُ فلَمْ تَجِب عَليهِ المسوخيَّة ووجَبَ عليهِ الإخراج إلى دارِ الدُنيا وصارَ عَبداً بَعدَ أن كانَ حُرّاً وصارَ مُتعَباً بَعدَ أن كانَ مُرَفَّهاً وصارَ ذَليلاً بَعدَ أن كانَ عَزيزاً وافترَضَت عليهِ العبوديَّة فقيلَ لَهُ إن لَمْ تَفعَل ضَرَبناك وعَذّبناك فصارَت مَنزلتهُ بمَنزِلَةُ العَبد الذي إذ لَم يَفعَل ما أمِرَ بهِ وفُرِضَ عليه عوقِبَ وقَد كانَ مَهملاً في الجَنَّة يَفعَلُ ما يَشاء فصارَ مَحصوراً لا يَفعَلُ ما يَشاء إلاّ بأمرٍ ونَهي وعقوبَة وكذَلِكَ كُلُّ مَن كَفَرَ باللَّه مُتَعَمِّداً وقَصَدَ إليهِ مُتَبَدِّلاً ونالَ مِنهُ ما يَنالُ

المَخلوقين بَعضهم مِن بَعض ووجَبَ عليهِ عبوديَّة وهي أشَرُّ مِنَ الأولى بالمسوخيَّة مِنَ المَركوب والمَأكول والمَشروب.

قالَ السَّائِل: قَد كُنتَ بيَّنتَ لي أمراً فهمتهُ إن لَمْ يضرّ الجوهَر ما كانَ مِنهُ مِنَ الجوهَر إذا أقبَلت على هَيئتهِ بسخط.

قالَ العالِم: كذا هوَ.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن دَرَجةِ الحُرِّ والعَبد وعَبدُ العَبد.

قالَ العالِم: أمَّا الحرُّ فمِثلُ آدَم وولده كانَ دودَةٌ في صَلبهِ وأرواحهُم في ظَهرهِ وهوَ في الجَنَّة لا يؤمَرُ بصلاةٍ ولا بصوم ولا ينهى عَن شيءٍ يأكلهُ ويَشربُهُ يُصَلِّي على صلاةِ المَلائِكَة بمَعرفةِ الذكر لا بالسجودِ والركوع ولَمْ يكُن عليهِ فَرضاً لازماً ولا حَقاً واجِباً ولا فَرض إذا هو ضيَّعهُ عُذِّبَ وعوقِبَ ولا غضب عليه ولا إساءة إليه وكانَ روحانياً مُطيعاً مُباحاً لَهُ كُلّ شيءٍ يُريدهُ ولا يَهتَم ولا يَغتَم ولا يُفَكِّرُ في ذَلِك حَتَّى كانَت مِنهُ المَعصيَة فأخرَجهُ مِن دارِ العزِّ إلى دارِ الذُل ومِنَ الحُريَّة إلى العبوديَّة والأمر والنَهي والسجود والركوع والصِيام وقيلَ لَهُ مَتَى لَمْ تفعَل ذَلِك عوقِبتَ وأدِّبتَ وإن تَعُد إلى طاعَتي وأمنت بِما شَكَكتَ بهِ وذَكَرتَ ما نَسيت وامتَنَعتَ عَمَّا نَهيتُ عَنه ورَجِعتَ إلى رَبِّكَ بِكَمالِ ذَلِك تَعودُ إلى الموضِع الذي مِنهُ أُخرِجت.

ثُمَّ قالَ العالِم: ولَن يَرجِع إلى ذَلِكَ الموضِع حَتَّى يَعرِفَ رَبَّهُ في سَبعِ تَكريرات كما جَهلهُ في سَبعِ سماوات ويكون عَبداً مَفروضاً عليهِ العَمَل حَتَّى إذا عَرَفَ رَبَّهُ في السَبعِ تَكريرات وتابَ مِنَ الغَفلَةِ والسَهوِ ورُدّ إلى الحُريَّة ورُفِعَ عَنهُ رِق العبوديَّة فيصيرُ إن عَمِلَ عَمَلاً فثوابهُ لنَفسهِ وإن ترك لَمْ يَكُن عليهِ عِقاب وكذَلِكَ الحُريَّة والعبوديَّة.

فالعَبدُ إن شاءَ ربُّ العَمَل شاء، والحرُّ إن شاءَ عَمِلَ وإن شاءَ لَمْ يَعمَل فيكونُ في الدُنيا لا مُحَرَّماً عليهِ شيء مِنَ المُحَلَلات ولا واجِباً عليهِ شيء إذا كانَ حُرَّاً وإذا كانَ مَملوكاً وجَبَ عليهِ ما يجِبُ على العَبد والمماليك فالنَّاسُ على جِهَتين أحرارٌ وعَبيد فأمَّا العلَماءُ العارفين فهُمْ الأحرار وأمَّا الجُهَّال هُم العَبيد وأمَّا الكُفَّار هُمْ عَبيدُ العَبيد مِمَّن مُسِخَ في المَأكول والمركوب والمَذبوح مِمَّن يَتَقَرَّبُ بِهِم إلى اللَّه وهُم كُفَّار إذا كانوا على صورتهِ إعظاماً وإجلالاً لصورتهِ فإذا فارَقوا الصّورَة وصُيروا في المسوخيَّة ففي المسوخيَّة المَذبوحَة يتَقَرَّبُ بِهِم إلى اللَّه تعالى.

أما تَرى كيفَ أحَلَّ للمؤمنينَ الكُفار إذا حَلّوا في القوالِب المَنسوخَة يتَقَرَّبونَ بذَبحِهِم إلى اللَّه وإذا كانوا في صورَةِ الإنسانيَّة لا يَتَقَرَّبُ إلى اللَّه أما تَرى لو كانَت البَهائِم خَلقاً

مَخلوقاً بِلا ذَنب ولا جُرمٍ ولا مَعصيَة ولا كفر والكافِر قَد عَصى اللَّه وكَفَر لكانَت البَهائِم خيرٌ مِنَ الكُفَّار فكانَ يَنبَغي على الأنبياء والرسُل تفهم الكفَّار فينهوا عَنها ويخلوها للمؤمنين إذا كانَت خيراً مِنَ الكُفَّار لأنَّ الكافِر يَضرُّ المؤمِن ويَكذبُ على اللَّه ويَشتمُ أولياءه، أمَّا البَهائِم لا تَضرُّ مؤمِناً ولا كافِراً ولا تَشتمُ اللَّه ولا أولياءه ولا تكفرُ بهِ فتكونُ تِلكَ البهائِم قَد سَبقَ مِنهُمْ الكفر والمُعانَدَة وهُم في صورَةِ الإنسانيَّة والإنسانُ الكافِر لا يتقرَّبُ بهِ إلى اللَّه لظهورِ اللَّه بالصّورَة الإنسانيَّة.

قالَ السَّائِل: فإذا كانَ الكافِر يأخذُ غَصباً ويأخذُ ما لا يحلُّ لَهُ فقَد كانَ يَنبَغي للمؤمِن أن يَنهاهُ عَن ذَلِك ويَمنعهُ مِنهُ إن قَدِر.

قالَ العالِم: أما تَرى المؤمِن والكافِر كيفَ يَنتَقِمان مِنهما للَّه فهيَ مُرَكَّبَة على قَدرِ ذنوبِها في أيِّ صورَة ما شاءَ رَكَّبَها.

قالَ السَّائِل: فما للَّه لَمْ يعلِّم النّاس هذا العلم كله حَتَّى يقصدهُ وكيفَ لا يَعرفونَ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: لو عَلِمَت البَهائِم ذَلِك ما أكَلتُم مِنها سَميناً ولا ضَعيفاً ولا انتَفَعتُم بِها بشيء وماتت حُزناً وخوفاً ولو عَلِمَ النَّاسُ مِن أقاربِهِم ما ذَبَحوا مِنها شيء تَقَرُّباً إلى اللَّه وإنَّما غَطَّى اللَّه هَذا الأمر عَن الجُهَّال والجَهلَة حَتَّى تقومَ الحكمَة وتَتمَّ العقوبَة وليَعلَمَ

العُلماءِ ما لا يَعلمهُ الجُهَّال.

قالَ السَّائِل: أليسَ هيَ في رَفاهيَّة تأكُل وتَشرَب وتَنكَح إلى أن يُنزِلَ اللَّه بِها البلاءَ فتُذبَح ؟.

قالَ العالِم: هوَ ذَلِك لأنَّها في العَذابِ الأدنى دونَ العَذابِ الأكبَر وذَلِكَ أنَّها حينَ كَفَرَت باللَّه ـ عَزَّ وجَل ـ لَم يَنزِل بِها آفَة ولا عقوبَة ولا عَذاب إلا في وَقتٍ واحِد لمعاني كَثيرَة.

قالَ السَّائِل: إني أرى بعضَها أرفَهُ مِن بَعضٍ وبَعضها تُذبَحُ أسرَعَ مِن بَعضٍ وبَعضها تُقتَل وبعضها تَموت موتاً أما تَرى الكلبَ رُبَّما يُقتَلُ بالحِجارَة والثور يُتعِبهُ أهلهُ بذبحهِ يُذبَحُ ذَبحاً وكذَلِكَ الجَمَل وما أشبه ذَلِكَ مِن ذوي الأربَع وإنَّما يُذبَحون صِغاراً وكِباراً وتُصيبُهُمْ الآفات وكذَلِكَ سائِرُ الدواب مِنها ما يُذبَح ومِنها ما لا يُذبَح ومِنها ما يَنكَسِر ومِنها ما يَموتُ موتاً.

قالَ العالِم: فأمَّا ما ذُبِحَ ذَبحاً وهوَ صَغير أو كَبير أو وَسَط فَهُم الذينَ اجتَمَعوا على قَتلِ وليٍّ مِن أولياءِ اللَّه . عَزَّ وجَل . ولَم تكُن في قلوبِهم رَحمَة فتواطئوا على قَتلهِ فإذا أنزَلَهُم اللَّه في تِلكَ الأبدان المَذبوحَة جُعِلوا قُرباناً إلى اللَّه وذُبِحوا ذَبحاً وهُم الذين تَوَلّوا قَتلَ الوَلي بأيديهِم وأمَّا ما اجتَمَعَ النَّاسُ عليهِم ولَم يَتقَرَّبوا للَّه بهِم ولَكِن ذَبَحوهُم ذَبحاً فهُم الذينَ آذوا المؤمنين بألسنتهِم

وقتلوهم ظُلماً وعُدواناً فأنالَ اللَّه مِنهُم.
وأمَّا ما كانَ مِنَ البَهائِمِ التي لا تُذبَح فَهُم الشّاكون الذينَ لا يؤدّون حَقُّ الوَلي ويُبيحونَ قَتلَهُ وآذوا المؤمنينَ حَقّاً وباطِلاً وكُلَّما رَجِعَ مِنهُمْ راجِع إلى موضِع تَمنَّى قَتلَ الولي فهؤلاء هُم الذينَ يقتلون ولا يُذبَحون.ومَن كانَ مِنَ الكافرين دائِم على شكّه وكفره وهوَ مُتَجَنِّب المؤمنين لا يَتَمَنَّى لَهُم أذى ولا قَتل فذَلِكَ هوَ الذي ماتَ موتاً ولَم يُقتَل قَتلاً.
قالَ السَّائِل: أخبرني إلى مَتى يكونُ ذَلِك ؟
قالَ العالِم: يكونُ إلى رَجعَةٍ أخرى بالولادَة فإذا ظَهَرَ القائِم رَدَّهُم إلى صورَةِ الإنسانيَّة على قَدرِ منازلهم حَتَّى يَقتلهم ألفَ قَتلَة على قَدرِ ذنوبِهِم حَتَّى تَجري الأوديَة بدمائِهِم كما جَرَت بالماء لكثرتهم . لَعَنَهُم اللَّه . ولِكُلِّ واحدٍ مِنهُم في المسوخيَّة ألفُ موتة جهاراً وألفُ ذَبحَة وإذا بَقيَ عليهِم بَعدَ ذَلِكَ مِنَ العقوبَة والانتِقام فيُرَدُّونَ إلى عَذابِ النَّار وتبيانُ ذَلِك في جَميعِ الكُتُب.
ففي القُرآنِ الكَريم قولهُ تعالى: أو من ينشئوا في الحليَة وهوَ في الخِصامِ غير مبين (الزخرف 18)
وقولهُ تَعالى: ونُنشئكم فيما لا تَعلمون ولقَد عَلِمتُم النَشأةَ الأولى فلولا تذكرون (الواقعة 61. 62)

وقولهُ تَعالى: في أيِّ صورَةٍ ما شاءَ رَكَبَكَ (الانفطار 8)
وقولـهُ تعالى: قل كونـوا حِجارة أو حَديداً أو خَلقاً مما يكبرُ في صدوركم (الإسراء 50 . 51).
قالَ السَّائِل: قَد عَرفتُ الحِجارَةَ والحَديد فما الخَلقُ الذي يكبرُ في صـدورِ النَّـاس ولا يكـون شـيء أعظَـمُ فـي صـدورِ النَّـاس مِـنَ الجِبالِ الراسيات.
قالَ العالِم: الخَلقُ العَظيمُ في صدورِ النَّاس هوَ الذَهَبُ والفِضَّـة وهُما مِن معادنِ الجِبال في القُرآن يقول: ومِنَ الجِبال جددٌ بيضٌ وحُمرٌ مُختَلِفٌ ألوانـها وغرابيبُ سودٌ ومِنَ النـاسِ والـدوابِ والأنعامِ مُختَلِفٌ ألوانـهُ (فاطر 27 . 28)
وقولـــه: ذَلِـكَ يخـوِّفُ اللَّـــه بـــهِ عبـــادَهُ يـــا عبـــادِ فـــاتَّقونِ (الزمر 16).
فقولـهُ: جِبال جدد بيض وحُمر فهُم الجبابِرَة والطواغيت مَسَخَهُم اللَّـه ـ عَزَّ وجَل ـ لعتوِّهم وتَمَردهم فـي الرسوخيَّة جِبالاً رواسـي ويَركَبـونَ أيضـاً فـي المَركـوب والمكبـوب والمُعَـذَّب ثُـمَّ يُـرَدّون بالمَأكولِ والمَشروب والعَذاب الأدنى دونَ العذابِ الأكبَر وهوَ يومُ ظهورِ القائِم .
وقولـهُ في الكِتابِ العَرَبي مُحَمَّد: ص.ذَلِكَ يخوِّفُ اللَّـه بهِ عبادَهُ يا

عِبادِ فاتّقونِ (الزمر 16)
أي اتَّقوا المسوخيَّة أن تُركَّبوا فيها.
وقولهُ تَعالى: وتَرى الجِبالَ تَحسَبُها جامِدَةً وهيَ تَمرُّ مَرَّ السَحابِ صنعُ اللَّه الذي أتقَنَ كُلَّ شيءٍ (النمل 88)
وقولهُ تَعالى: أَلَم يَروا كمْ أهلَكنا مِن قَبلِهِم مِن قرنٍ مكَّنّاهم في الأرضِ (الأنعام 6)
وقولهُ تَعالى: وعلى الأعرافِ رجالٌ يَعرِفونَ كُلاًّ بسيماهم (الأعراف 46)
فأوضَحَ الكِتابُ العَرَبي هَذا البيان ما لَمْ يوضِح شيء مِن كُتُب الأنبياء.
وقولهُ تَعالى: وما مِن دابَّةٍ في الأرضِ ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيهِ إلاّ أمَمٌ أمثالكم (الأنعام 38)
فإن قالَ جاهِلٌ يعني أمَمٌ أمثالنا في الخلقَة والولادَة والصّورَة يُقالُ لهُ الإنسانُ مِثل الطير أو الأسَد مِثل الثور أو الطّعام مثل العذرَة ولَعُمري أنَّ ذَلِكَ ليسَ بأشكال.
فإن قالَ قائل: يعني أمَمٌ أمثالُكُم في الخلقَة وليسَ مثلهم في الجنس قيلَ لَهُ: أخلقَةُ الإنسانِ مثلُ خلقَةِ الشيطان أو خلقَةُ آدَم مِثلُ خلقَةِ إبليس فإن قالَ ذَلِك كَفَر لأنَّ الشيء مِثلُ الشيء إذا

وافَقَـهُ مِن سائِرِ الوجوه وإذا وافَقَـهُ مِن بـاب وخالَفَـهُ مِن بـاب لا يكونُ مِثلهُ فآدَم موافِق لإبليس مِن بابِ الخلقَـة وليسَ موافِقاً لَـهُ مِن جِهَـةِ الإيمـان فكيفَ يكـون فـي المُختَلِف مُتَّفِق وهَذا مـا لا يكونُ أبَداً وفـي الكِتـابِ العَرَبـي مُحَمَّد: يقـول: ص. قُل إن كـانَ للرَحمَنِ ولَدٌ فأنا أوَّلُ العابدينَ (الزخرف 81).

فإن قالَ قائِل: إنَّما يَعني أنا أوَّلُ الجاحدين.

فيُقالُ لَه: إذا كانَ العابِدُ جاحِداً والجاحِدُ عابِداً استقام أن يكـون الحَقُّ باطِلاً والباطِلُ حَقّاً وليسَ هكذا ولَكِن قالَ أنا أوَّلُ العابِدين.

أما سَمِعتَ الكِتابَ العَرَبـي يقـول: ولـو جَعلنـاهُ مَلَكـاً لجَعلنـاهُ رجـلاً وللبسنا عليهِم ما يَلبَسونَ (الأنعام 9).

وهَذا دليلٌ أنَّ اللَّه يَظهَرُ بصورَةِ الأنبياء.

وقـالَ فـي الكِتـابِ العَرَبـي: وجَعَلـوا بينـهُ وبيـنَ الجَنّـة نَسَباً ولَقَـد عَلِمَـتِ الجنّـة إنَّهُـم لمُحضَـرونَ سُـبحانَ اللَّـه عَمَّـا يَصِـفون (الصافات 158 . 159)

ومَـتى جَعَلَ بينَـهُ وبيـنَ الجَنّـةِ نَسَباً والجِـن لا يُـرونَ أصـلاً ولا يحسّـون ولا يجسّـون فكيـفَ يكـون نَسَـب بيـنَ مَـن لا يَحـس ولا يجـس وبيـنَ مَـن آياتـهِ ودلائلـهِ فـي سـماواتهِ وأرضـهِ وخلقـهِ أجمَعين.

قالَ السَّائِل: فما مَعنى قولهُ هَذا ؟

قالَ العالِم: يَعني بني إسرائيل حيث جَعَلوا بينَهُم وبينَ المَسيح نَسَباً وهَذا قولُ اليَهود في المَسيح.

وفي الإنجيل يقول: يا عيسى إنّي ولدتك.

وتَفسير الجنّة في هَذا الموضِع: ما استَجَنَّ اللَّه فيهِم فمريَم الجنّة فهوَ موضِع ما استَجَنَّهُم اللَّه فيه مِن قولهم، ومِن قولِهم في يحيى وزكريَّا جَعَلوا بينهُ وبينَ الجنّة نسباً.

وزَعَمَ اليَهود أنَّهُم قَتَلوا المَسيح حَتَّى كفَّرَهُم اللَّه في الإنجيل.

وفي الكِتابِ العَرَبي يقول: وما قتَلوهُ وما صَلبوهُ (النساء 157).

فأمَّا قولهُ: ولقَد عَلِمَت الجِنّة إنَّهُم لَمُحضَرون (الصافات 158)

كانَ دخولُ اللاهوت في النَّاسوت في المَريَميَّة حينَ نَزَلَ مِنَ السّماء فأورى عِبادَهُ مِن عَجائِبِ قُدرَتهِ فأحيى الموتى وخَلَقَ مِنَ الطينِ طيراً وأنبَأهُم بِما كانوا يأكلون وما يَدَّخِرونَ في بيوتهِم مِن عِلمِ الغيب وإبراء الأكمَة والأبرَص ثُمَّ رَجعَ إلى السَّماءِ الذي مِنها نزَل.

يقولُ في الأنجيل: يَكفيكُم مِن فِعلِ اللاهوت الذي عايَنتموهُ مِن

أفعالـهِ الـتي ليسـت إلاَّ اللاهـوت فعلـهُ وَحـدَهُ فكيـفَ آيـاتٍ بيِّنـات مُتَواتِرات ودَلائِل ومُعجِزات إن عقلتُم.

ويَقولُ في الكِتابِ العَرَبي: إنَّ في ذَلِكَ لآيـةً لَكُم إن كُنتُم مؤمنيـن (آل عمران 49).

وقال: سُبحانَ اللَّه عَمَّا يَصِفون (الصافات 159)

أي جَعَلوا اليَهود جوهَرَ الرَّب كجوهَر الجنّة مريَم، ومَريَم حجاب احتَجَبَ اللَّه بِها عَن تَأديبِ الولادَة.

وهوَ فـي الكِتـابِ العَرَبـي يَقـول: وجَعَلـوا الملائِكـةَ الـذينَ هُم عِبـادُ الرَحمنِ إناثاً أَشهدوا خلقَهُم ستُكتبُ شهادتهم ويَسألونَ (الزخرف 19)

عَمَّـا قـالوا وممَّـا جهلـوا عِنـدَ أوابِ الكـرة وإظهـارِ العلـم والقـدرَة، وحَكَمـوا بالأنوثـة علـى الـذكور وجهلـوا أمـر الحِجـاب ثُمَّ أوضَـحَ الكَتاب بالنِداءِ للمَسيح للتَجَلِّي باللاهوتيَّة فقال: وإذا بُشِّرَ أحَدَهُم بالأنثى ظَلَّ وجهُهُ مسوَداً وهوَ كَظيم (النحل 58).

بِمـا ضَـرَبَ للـرَحمَن عَنهُمـا مَثَـلاً ولَـداً يَعنـي اليَهـود حيـنَ ضَـرَبَ الرَحمَن أنَّـهُ ولدتـهُ مَريَم بالأنثويَّة والإنـجيل يدلُّ على ما هوَ أشرَحُ مِن هَذا وأوضَح لأنَّـهُ يقول فـي الإنـجيل: نزلتُ إليكُم مُتَجَلياً فـي حِجاب فأريتكُم نَفسي بالبَشَريَّة والـولادَة ثُمَّ عَملتُ عَمَلَ اللاهوت

فلَمَ يكُن عِندَكُم ما تُميزونَ بـهِ بينَ مَن يَفعَل فعل الإلهيَّة وبينَ مَن يَفعَل فعل الإنسانيَّة ثُمَّ أكَدتُ حُجَّتي بارتِفاعي في موضِع وانصِرافي إلى السَّماء ثُمَّ إنِّي أظهَرُ بَعدَ فَترَة وأبدي العِلمَ والقدرَة.

قالَ السَّائِل: كَشَفتَ لي عَن مَستور وشَرَحتَ لي عَن مَكنون أظنُّ قَد عَجِزَ عَنهُ هَذا الخَلقُ المَنكوس فعِد لي ما ابتَدَأتَ مِن أمرِ المسوخيَّة.

قالَ العالِم: كيفَ وصَف ما يُحِلُّ أكلهُ مِنَ التَراكيب في المَذبوح مِمَّا يؤكَل لَحمَهُ والكِتابُ الإسرائيلي يقول: إنَّ كُلَّ مَمسوخ مُحَرَّمٌ أكلهُ مثل البيضَة إذا لَم تكُن مُختَلِفَةُ الطَّرَفين ومِثلُ السَمَكَة إذا لَمْ تكُن فَلوس ومِثلُ الأرنَب ومِثلُ الخَنزير ومِثلُ الأنثى والقرد وغيرُ ذَلِك وما دَلَّ عليهِ الكِتابُ العَرَبي في الرَجعَة صَحيح والرّجوعُ إلى الدُنيا لأنَّهُ قَد رجع بَعضُ الأنبياء وأحيى قوماً قاتَلوا مَعهُ وكذَلكَ جميعُ كُتُبِ الأنبياء والرسُل مِن أوَّلها إلى آخرِها في كُتبِهِم مُبيَّنَة والرّجوعُ إلى الدُنيا قضاءً مُبرَماً وحُكمَاً مَحتوماً ومَفصولاً.

قالَ السَّائِل: أخبرني كيفَ يجوزُ أن يَكون المؤمِن بِلا عَمَل ولا فَرض ولا يُطالِبُ بشيء أو يَكون يَستمرُّ بمَنزِلَةِ الأحرار فلا يُحَرَّمُ عليهِ شيء.

قالَ العالِم: إذا كملَ المؤمِن وبَلَغَ المَعرِفَة وعَرَفَ رَبَّهُ وحجُبَهُ ومقاماتِهِ وأيتامَهُ ونُقَباءه ونُجَباءهُ ومُختَصّيه ومُخلصيه ومُمتَحَنيه والمؤمنين فقَد خَرَجَ مِن حَدِّ العبوديَّة وصارَ إلى مَنزِلَةِ الأحرار ورُفِعَت عَنهُ الآصار والأغلال وأُبيحَ لَهُ كُلَّ ما كانَ مَحظوراً عليه لأنَّ قَليلُ العِلم خيرٌ مِن كَثيرِ العَمَل.

وأنَّ موسى ـ عليهِ السَّلام ـ كانَ بيتاً مِن بيوتِ اللَّه التي يَنزِلُ بها الرَّب ويَرتَحِلُ مِنها وقَد كَلَّمَهُ اللَّه وأخَذَ منهُ التوراة واهتَزَّ لَهُ كُلُّ شيء وأمَرَهُ بالطّهارَةِ مِنَ البول وتَرك أكل لَحم الجَري والأرنَب والأنثى والخنزير وما أشبه ذَلِك وأمرهُ بالغسلِ مِنَ الجنابَة.

فلَمَّا جاءَ المَسيح الابن وإنَّما هوَ الأب في صورَةِ الابنيَّة فحَلَّ في المَريَميَّة غَّيرَ سُنَّةَ موسى ـ عليهِ السَّلام ـ ورحمهم فقالَ: كلوا ما شِئتُم وأطعموا كُلَّ شيءٍ تَطيبُ بهِ أنفُسُكُمْ ورَفَعَ عَنهُم الغَسلَ مِنَ الجُنابَة والوضوء أفلا تَرى أيُّها السَّائِل أنَّهُ قَد أعتقَهُم مِن كَثيرٍ مِمَّا فَرَضَ عليهِم موسى وهوَّنَ عليهِم كثيراً مِمَّا قَد شَدَّدَ عليهِم مِنَ الأغلالِ والآصار، وقالَ إنَّ اللَّه مستغنٍ عَن أعمَالِكُم فإن شِئتُم فاعمَلوا وإن شِئتُم فلا تَعمَلوا إذا فَهِمتُم حَلاوَةَ الحُريَّة، وأخبَرَهُم أنَّ التَشديدَ عليهِم إنَّما كانَ حينَ جَهِلوه فلَمَّا استَكمَلوا المَعرِفَة وعَرَفوه بالتَجَلِّي بالإلهيَّة فصاروا مِن أبنائهِ وخففت

عَنهُم المَعرِفَة التي بَلَغوها، فكذَلِكَ لَمَّا عَرَفوهُ بالأب والابن أعتَقَهُم فالحرُّ إذا بَلَغَ درجَة المَعرِفَة عِندَ اللَّه صَارَ حياً لا طَمَع ولا خوف صَارَ في دَرجَة أما عَلِمتَ أنَّ القسّيسين والرهبان لَمَّا بَلَغوا درجَة المَعرِفَة تَزَهَّدوا وصاروا مِنَ الزُّهادِ والسَّائحين واجتَنَبوا الدُنيا وزخرفها شُكراً لِما أنعَمَ اللَّه عليهِم وبَلَغَ بهِم دَرجَةَ الأيمان وعَرَفوا المَسيحَ كَنه المَعرِفَة حَتَّى بَلَغَ مِن شأنِ الحواريين الذينَ حَبَسوا أنفُسَهُم في الصّوامِعِ والبيع وبَلَغوا مِنَ الزُهدِ مَبلَغاً لَمْ يَبلغْهُ أحَدٌ مِنَ المِلَل شُكراً وحُبّاً لا خوفاً ولا طَمَعاً.

ثُمَّ قالَ العالِم: قَد أجَبتُ لَكَ أيُّها السَّائِل وفَسرتُ لَكَ سَبعَةَ عَشَرَ مَسألَة في المسوخيَّة وثمانيَة عَشَرَ مَسألَة في النسوخيَّة والولادَة وتسعَة عشَر مَسألَة في العبوديَّة والحُريَّة بيِّنةٌ ثابتة وأخرَجتُ لكَ مِن تَفسيرِها وباطِنِ سرِّها ومَكنونِ علمِها التي خفيَت عَن هَذا الخَلق المَنكوس الذين هُم ثيران وحَمير وبَقَر وإبل وقَد شَبَّهَهُم اللَّه ـ عَزَّ وجَل ـ بالأنعامِ بل هُم أضَلُّ سبيلاً وحَجَبَ بينَهُم وبينَ المَعرِفَة ولَبَّسَ عليهِم دينَهُم فَهُم عبيدٌ لا يَزالون في التَحييرِ والتيه مَفروضٌ عليهُم في العبوديَّة والأغلال والآصار للجواهِر الظلميَّة التي هيَ مِن جنسهِم وصَفَّى الأحرارَ النورانيِّين وعَرفهُم وانتَجَبهُم وصَفَّاهُم بالمَعرِفَة وهيَ سَبعَةَ عَشَرَ أصلاً وثَمانيَةَ عَشرَ

حِجاباً وتِسعَةَ عَشَرَ مَعرِفَة في كُلِّ نوعٍ وجِنسٍ مِنَ العَرَب والعَجَم وبَقِيَت لَكَ مَسألتان فاسأل.

قالَ السَّائِل: أخبرني ما مثلُ اللَّه وما مَثَلُ خَلقِهِ ؟

قالَ العالِم: مَثَلُ اللَّه مِثلُ الشَّمس تَطلَع وتُشرِق فيَنتَفِع بإشراقِها وطلوعها جَميعُ الخَلق.

ومَثَلُ خَلقِهِ مِثلُ النَبات يَنتَفِعُ بِهِ والخَلقُ يَنتَفِعونَ بِما خَرَجَ لَهُم مِنَ نبات الأرض فالشَمسُ لَها ضوءٌ وهَيئَة وحَرارَة ومَنفَعَة يَخرجُ بحرارتِها النَبات وبضيائِها الخَلق.

قالَ السَّائِل: فما مثل ظهورِ اللَّه في خَلقِهِ وما مثَلُ خَلقِهِ في تَصديقِهِ وتَكذيبِهِ ؟

قالَ العالِم: مِثلُ الرّيحِ الهابَّة الطيّبَة التي تُخرِجُ لَهُم نَسيمها وقوّتها النَباتَ مِنَ الأرض متاعاً للمُتَّقين أي بلاغاً للمُسافرين كما جاءَ في الكتاب العَربي.

قولهُ تَعالى: أخرجَ منها ماءها ومرعاها والجبالُ أرساها متاعاً لَكُم ولأنعامكم (النازعات 31 ـ 33)

قالَ السَّائِل: فمِن أينَ مَنفَعَتُها ؟ ولِمن منفعتُها ؟

قالَ العالِم: لمَن تُلائِمُهُ ما بينَ ضوئها وكسوفها على مَن لا يُلائمها، ومثل المؤمِن في ظهورِ اللَّه كمثل مَن يَفعَل المائِدَة مِنَ

الإيمان بالحِجاب.

قالَ السَّائِل: فما المائِدَة ؟

قالَ العالِم: عليكُم هَذا الشيء.

قالَ السَّائِل: وما هوَ ؟

قالَ العالِم: أنفِقوا مالَكُم في أهلِ الإيمان أو لا تُنفِقوا مالَكُم في جنسِ الكُفَّار والمال هوَ المَعرِفَة والعلم.

قالَ السَّائِل: فما تَصديقُ الرَبِّ مِن تَكذيبِهِ ؟

قالَ العالِم: مِثلُ القَمر ضياؤهُ مِن ضياءِ الشَمس فهوَ يؤَدِّي إلى الخَلق وإن لَم يَكُن مِثلُ الشَمس وكذَلِكَ الحُجُب والأنبياء أخَذوا كلامَهُم مِنَ اللَّه وهُم يؤَدّونَهُ إلى الخَلق.

وأمَّا مثلُ التَكذيب مِثلُ الدودَة التي تَحملُ ضياؤها بالليل يَحسَبُها الإنسانُ ناراً أو شُعلَةً مِن نار وليسَ لَهُ مَعنى إلاّ مَعنى الدودَة مِن غيرِ أصل فكذَلِكَ مِثلُ الحَقِّ والباطِل.

قالَ السَّائِل: فما مثلُ الحُرِّ والعَبد ؟

قالَ العالِم: مَثَلُ الحر مَثلُ الدينار، ومَثلُ العَبد مَثَلُ الفِلس لأنَّكَ قَد تَشتَري بالدينار الواحد الفلوس الكثيرة ولا يَشتَري بالفِلس إلاّ فِلساً واحِداً ويَشتَري بهِ الأشياء التي هيَ دونه مثل البقل والخَل والبَصَل.

ومَثَلُ الحرِّ مَثلُ الذَهَب يجودُ عِندَ التَصفيَة ولا يضرُّهُ الكسر بالكور ومثُل العَبد مثلُ الفلس نقصانهُ يَتلاشى بالتَصفيَة وعفونَة التُراب لأنَّ أصلَهُ رديء وجوهرهُ خَبيث.

والذَهَب مِثلُ المؤمِن لا يضرُّهُ شيءٌ مِنَ الباطِل ولا يغيِّره، والمؤمِنُ الحَق يزيدُهُ ولا يضرُّهُ أينَ ما كان وفي أيِّ دينٍ كان إذا عَرَفَ الحَق لا يُبليهِ بشيء وضَرَبَ لهَذا مَثَلاً للمؤمِن والكافِر لأنَّ المؤمِن لا يضرُّهُ المأكَلُ والمَشرَب.

ومثلُ العَبد الكافِر لا يَنفَعَهُ شيء ويُبليه كل شيء والعَبدُ يُشتَرَى ولا يَشتَري والحُر يَشتَري ولا يُشترَى.

وشِراءُ الحر إخراجَهُ مِنَ العبوديَّة إلى الحُريَّة يُريدُ خروجَهُ مِنَ الشكِّ إلى اليَقين ومِنَ الجَهلِ إلى المَعرِفَة وشِراءُ العَبد الخروجُ مِنَ اليَقينِ إلى الشَك يُرَدُّ مِنَ الإيمانِ إلى الكُفر فذَلِكَ الحرُّ والعَبد.

قالَ السَّائِل: فما العَبدُ في كُلِّ جنس ؟

قالَ العالِم: قَد يكونُ مؤمِناً ويكونُ كافِراً وكذَلِكَ آدم كانَ حُرّاً ثُمَّ صارَ عَبداً وكذَلِكَ العَبدُ يولَدُ في الأرض التي يَقَعُ فيها السّبيّ.

أما تَرى العَبدَ كيفَ يولَدُ ويَصيرُ دَرَجَةً مُرتَفِعَة أكبَرُ مِن دَرَجَةِ الحر وإلى عز وإلى عزٍّ أكبَرُ مِن عزِّ الحر ورُبَّما أعتَق فبقيَ

ذَلِكَ عليه ورُبَّما ماتَ في العزِّ والثَروَة ورُبَّما كانَ العَبدُ شَقيّاً فيُعتَقُ وهوَ شَقي فيصيرُ مسكيناً يضطَرُّ إلى السؤالِ فيموتُ في شَقائهِ ويكونُ العَبدُ ذليلاً شَقياً ليسَ لَهُ عَمَلٌ في شَكِّهِ إلى يوم يموت فيلحقهُ فإن أعتِقَ قَبلَ موتهِ وذَهَبَ عَنهُ الشَك فمَن شَكَّ في بَدَنٍ مِنَ الأبدان وليسَ لَهُ عَمَل ولِدَ في أرضِ السّبي حَتَّى يتخذ عَبداً فعلى قَدرِ ذَلِك يُصيبُهُ مِنَ الخيرِ والشَرِّ في دُنياه.

قالَ السَّائِل: فما مَثَلُكَ فيه أسألُكَ عَنهُ ؟

قالَ العالِم: قولُ القائِل إذا قالَ للآخَر أخبرني عَن الخُلفاءِ والملوك وأصحابِ الجيوش كيفَ يعظمّون ثُمَّ عَن قليلٍ يرحمون فمرَّة يعظمون ومَرَّة يرحمون، فمَن سارَ مِنهُم بسيرَةٍ حَميدَة واَقتطَعَ البِلاد وما تَردَّدَ فيها بعَدلهِ كانَ مَغتبطاً في حياتهِ ومماتهِ ومَن سارَ سيرَةً جائِرَة كانَ مَرحوماً في حياتهِ غير مرحومٍ في مماتهِ.

قالَ السَّائِل: فلأيِّ شيءٍ ارتَفَعوا إلى ما ارتَفَعوا إليه.

قالَ العالِم: إنَّ اللَّه احتَجَبَ بحجُبٍ كَثيرَة فمَن آوى لَهُ حِجاباً أو أكرم لهُ حِجاباً أو نَصَرَ لهُ حِجاباً لَم يُخرجهُ إلى الدارِ الآخر إلاّ بعد أن يُجزى بِما فَعَل لأنَّ الحِجاب قَد كانَ وقاهُ القَتل أو أجارَهُ مِنَ القَتل فكوفئ بالجَزاءِ بِما عَمِلَ مِنَ الإحسان حَتَّى يأتي مَلِكاً

مُنَعَّمـاً وكـذَلِكَ الملـوكُ الصّـغار أوى إليهِـم بَعـضُ عبيـدِ اللَّـه المؤمنين وأجاروهُم مِنَ القَتل وأكرَموهُم بإكرامٍ حَسَن فجوزوا بِما عَمِلوا فأتوا ملوكاً صِغاراً لأنَّهُ إذا أوى المؤمِن وأجارَهُ مِنَ القَتلِ والظُلم والجور فجُعِلَ مَلِكاً صَغيراً.

قالَ السَّائِل: فما مثلهُ في الدُنيا والآخِرَة ؟

قالَ العالِم: مثلهُ مثلُ رَجُلٍ أقرَضَ مالاً فإن كانَ كثيراً أخَذَ كثيراً وإن كانَ قليلاً أخَذَ قَليلاً وإن لَمْ يُقرِض شيئاً لَمْ يأخُذ شيئاً.

قالَ السَّائِل: أيُّها العالِم فما مثلُ الحُريَّة كلّها ؟

قالَ العالِم: إذا أطاعَ الخلقُ كلّهُم.

قالَ السَّائِل: لِمَن ؟

قالَ العالِم: لربِّهِم.

قالَ السَّائِل: فما يكون ؟

قالَ العالِم: يكونونَ أحرارا.

قالَ السَّائِل: في أيِّ صورَة ؟

قالَ العالِم: فيما ظَهَرَ لَهُم بِما أراد وأظهَرَ العِلمَ والقدرَة.

قالَ السَّائِل: أيصيرونَ عَبيدَ الحِجَاب ؟

قالَ العالِم: لنَقلَتِهِم في حِجابِ المولود.

قالَ السَّائِل: فيمَ يَعيشون ؟

قالَ العالِم: بطاعتِهِم لَهُ مِنَ العَقل.

قالَ السَّائِل: وبِمَ يَموتون ؟

قالَ العالِم: الموتُ موتان موتُ الجَهلِ عَنِ العِلمِ وموتٌ يَمحو أجَلَ الرَجُل حَتَّى نَقَصَ مِن عُمرهِ لشَكِّهِ في الحِجابِ والأنبياء وأنَّهُ عَبد.

قالَ السَّائِل: فيمَا يَزدادُ في عُمرهِ ؟

قالَ العالِم: لإقرارهِ في حِجابِ الولادَة.

قالَ السَّائِل: فيمَا ينقصُ مِن رِزقهِ ؟

قالَ العالِم: بتَركهِ أشخاصَ الفَرائِض.

قالَ السَّائِل: فيمَا يَزدادُ في رزقهِ ؟

قالَ العالِم: بأفعالهِ النوافِل.

قالَ السَّائِل: فيمَا يتمُّ موتهُ ؟

قالَ العالِم: بفراغهِ مِن حَقِّهِ وباطله.

قالَ السَّائِل: ما مثلُ أبدانِ المؤمنين مِنَ الرَبِّ ونوره ؟

قالَ العالِم: مِثلُ النجوم.

قالَ السَّائِل: فما مَثلُ أبدانِ الآدميَّة ؟

قالَ العالِم: مِثلُ الغيوم التي يكونُ مِنها المطر.

قالَ السَّائِل: فما مَثلُ أعمالِهِم ؟

قالَ العالِم: مِثلُ المَطَر الذي يَنبتُ بهِ كُلُّ شيء.

قالَ السَّائِل: فما مَثلُ أبدانِ الكَفرَة ؟

قالَ العالِم: الظُلمَة.

قالَ السَّائِل: فما مثلُ أعمالِ الكافِر.

قالَ العالِم: مِثلُ البَرد الذي يُحَطِّمُ كُلَّ شيءٍ يُصيبُهُ.

قالَ السَّائِل: فما عملهُ أيضاً ؟

قالَ العالِم: مِثلُ النَّار التي تَحرِقُ كُلّ شيء.

قالَ السَّائِل: فما مثلُ أبدانِ الكَفرَة ؟

قالَ العالِم: مِثلُ أبدانٍ مَذبوحَة.

قالَ السَّائِل: فما مثلُ المَرزوقِ والمَحروم ؟

قالَ العالِم: مثلُ الملائِكَة سَبَّحوا وهَلَّلوا فخَلَقَ مِن ذَلِكَ لَهُم رِزقاً وقاموا بذَلِك وكذَلِكَ كُلُّ مَن فَعَل أخَذَ رِزقَهُ على قَدرِ فِعلهِ.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن الملائِكَة ما مثلهُم ؟

قالَ العالم: مِثلُ رَجُلٍ عليهِ دَين وفىَّ دينَهُ وطَلَبَ الزيادَة والتوفير على نفسهِ فصاروا ملائِكَة لا يأكلون ولا يَشرَبون إلاّ ذكر اللّه.

قالَ السَّائِل: أخبرني ما مثلُ الملائِكَة أيَكرُّونَ بأجناسٍ مُختَلِفَة أو هُم مُقيمونَ على جِنسٍ واحِد ؟

قالَ العالِم: إنَّهُم أمروا ونهوا وطاعوا وسَلَّموا فأمَّا مَن عَصَى

وحَسَدَ فليسَ مِنَ المَلائِكَةِ الطَّائِعين وإنَّما مِنَ الملائِكَةِ مَن تَصَفَّى مِنَ المعاصي وأوفوا بِما عليهِم وردُّوا إلى منازلِهِم وأكرِموا بمواضعهِم التي مِنها خَرَجوا وإليها أعيدوا وكانوا مُمتَحنين فصاروا أحراراً مُكّرَّمين في خِدمَةِ الرّوحانيَّة مُطيعينَ للبيوتِ اللَّحميَّة التي يُذكَرُ فيها اسمُ اللَّه بِكُلِّ لسان وبكُلِّ شَريعَة.

قالَ السَّائِل: ما مثلُ التكرار والترداد وعَمارة السَّماء وعَمارَة الأرض ؟

قالَ العالِم: عَمارَةُ الأرض المِحنَة والرجوعُ إلى السَّماءِ بالمنّة وكذَلِكَ أخرِجَ آدَم مِنَ الجَنَّة إلى المحنَة والرجوعُ إليها بالمنّة ولِكُلِّ سماء فريقٌ مِنَ الملائِكَة وكذَلِكَ الأرض لكُلِّ أرضٍ فريقٌ مِنَ المؤمنين الممتَحنين.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن الإيمان كَمْ له دَرَجَة وعَن الكفر كَمْ له دَرَجَة وأينَ كانَ المؤمنون وإلى ما يرجَعون وما المَثَلُ في ذَلِك ؟

قالَ العالِم: مثلُ السّبعَةِ أيَّام تَدور على الخلق يروا ليلَها مِثلَ الكافِر ونهارَها مِثلَ المؤمِن ومثلُ إيمانِها كالشَمس ومثلُ كفرها كالليل وهيَ سَبعُ دَرجات مؤمِن مُمتَحِن ومُخلِص ومُختَص ونَجيب ونَقيب ويتيم وباب يخرجُ مِنهُ العلم وحِجابٌ ظاهِرٌ مِنهُ معرِفَةُ سَبع درجاتٍ في الإيمان حَتَّى لا يَكونَ مَعهُ شيء مِنَ

الكُفر فهَذهِ سَبعُ درجاتٍ يَبلُغها المؤمِن ويَرتَقي إليها حَتَّى يعودَ إلى الجَنَّة وكذَلِكَ بهَذهِ التَسميَة للكافِر حَتَّى لا يكونَ مَعهُ شيء مِنَ الإيمان حَتَّى يَستَحِقَّ العَذابَ ودخولَ النَّار ولا يَكونَ مَعَ المؤمنين شيءٌ مِنَ الكُفر.

قالَ السَّائِل: فما مثلُ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: مثلُ المؤمِنِ في التَكرير في الأبدانِ البَشَريَّة مثلُ الثوبِ الأبيض المُتَّسِخ فيُغسَلُ حَتَّى يَعود إلى نهايَةِ البياضِ في جنسهِ الأوَّل وكذَلِكَ المؤمِن اتّسخَ بالشَكِّ والريب فلمَّا كُرِرَ في الإنسانيَّة زادَ إيماناً ورجَعَ إلى كونهِ النوراني الذي أخرج منهُ ومثلُ الكافِر مثلُ الثوبِ الأسوَد اتَّسَخَ بالشَكِّ والرّيب فلا يزالُ يَتَكَرَّرُ في الإنسانيَّة حَتَّى يرجعَ إلى الكُفرِ المَحض الذي لا امتِزاجَ فيه فينقلُ إلى المسوخيَّة فيُعَذَّبُ فيها وليسَ مَعهُ شيءٌ مِنَ الإيمان فيُنقَل المؤمِن إلى منازل الملائِكَة في النَعيم ويُنقَلُ الكافِر إلى عذابِ الجَحيم.

قالَ السَّائِل: أينَ أقسامُ المؤمِنِ مِنَ السّماء وأينَ أقسامُ الكافرِ مِنَ الأرض.

قالَ العالِم: لكُلِّ مؤمِن سَبعَةُ أبدانٍ نوريَّة في كُلِّ سماءٍ بدَن ولهُ في الأرض سَبعَةُ أبدانٍ ظلميَّة في المواليد.

قالَ السَّائِل: فما مثلُ ذَلِك ؟

قـالَ العـالِم: مثـالُ النجـومِ السَـبعَة السـيَّارَة الـدائِرَة مثـلُ أبـدانِ المؤمنين فـي السماوات ومثـل السَبعَة الأيَّام الـدائِرَة دلائِل علـى أبدانِ المـؤمنين فـي الـدُنيا نـهارها للمـؤمِن وليلـها للكـافِر وللكافرِ أيضاً سَبعَةُ أبدانٍ أرضيَّة ظلميَّة في كُلِّ نوعٍ جنسٌ مِنَ المسوخيَّة والرسوخيَّة.

قالَ السَّائِل: فكَم حجاب للرَّب في السماواتِ ؟

قالَ العالِم: سَبعُ حجُب المَعروفَة في وسَطِ كُلِّ سَماء حِجاب.

قالَ السَّائِل: فكَم حجاب للرَبِّ في الأرضِ ؟

قالَ العالِم: سَبعَةُ حُجُب في وسَطِ كُلِّ عالَم حِجاب.

قالَ السَّائِل: فما السَّاعات وما الأوقات أهيَ في السَّماء كما هيَ في الأرض أو ليس حجُب السماوات مثل حجُب الأرض ؟

قـالَ العـالِم: السَّـاعَةُ فـي السَّـماء كمـا هـيَ فـي الأرض وليسَـت حجُب السماوات مثل حجُب الأرض.

حجُـبُ اللَّـه فـي الأرض علـى الـولادَة والأوقـات، وحجبـهُ فـي السماوات على الإنشاءِ والظهورات.

قالَ السَّائِل: أخبرنـي كَم حِجاب للَّـه فـي السَّماء وكم حِجاب في الأرض ؟

قالَ العالِمِ: حجبهُ في السَّماء عَدَد أيَّامِ السَنَة ثلاثمائة وسِتةٌ وسِتونَ حِجاباً إلاّ الحجُب السِتة والحِجابُ الذي انفردَ بهِ الأعلى الذي ظهرَ بهِ بالعلم والقدرَة فأشهرَ بهِ أمرهُ وهيَ على الأيَّامِ الخوالي التي خَلَقَ فيها كُلَّ شيء وهيَ سِتةٌ حجُب سوى الثلاثمائَة وسِتةٍ وسِتين حِجاباً مِنها نوري ومِنها أرضي فما كانَ مِنها نوري فهوَ في السّماء مِن حِجابِ الابن والرّوح وما كانَ في الأرض مثلُ ذَلِك فهيَ في السماءِ مَعلومَة وفي الأرضِ موجودَة وكذَلِكَ حجُب السّماء هيَ موجودَة في الأرض وموجودَة في السَّماء.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن ساعاتِ الليلِ والنَّهار أربَعَةٌ وعشرونَ ساعَة فمَن هيَ.

قالَ العالِمِ: الأربَعَة وعشرون بيتاً يَكرّونَ في كُلِّ أوان وزمان [7]
يؤّدونَ الحجَّة ويُقيمونَ بالتَذكِرَة لِكُلِّ ساعَة بيتاً يُقيمونَ حُجَج الأئِمَّة وينقلونَ النَّاس مِنَ الكفرِ إلى الإيمان.

قالَ السَّائِل: فما ساعاتُ النّهارِ مِنها ؟

قالَ العالِمِ: المَشهورون بالدَّعوَة، القائمون بالحجَّة.

قالَ السَّائِل: فما مثلُ ذَلِك ؟

قالَ العالِم: إنَّ أب المسيح العين العَلي جَمَعَهُم حولَهُ في صوَرٍ مُختَلِفَة اثني عَشَرَ تلميذاً فأتَمّوا به كُلُّهُم وهُم في بيوتٍ لَحميَّة دَمويَّة مُتَظاهرين.

والليل اثنى عَشَرَ حِجاباً لَحميَّة دَمويَّة فساعاتُ النَّهار دالَّة على الاثني عَشَر نوري وساعاتُ الليل دالَّة على الاثني عَشَر المُتَظاهِرَة لَحميَّة دَمويَّة وهيَ دائِرَة في العالَم في كُلِّ حين وزمان وأوان في الأرض وفي السّماء، (ليَستيقِنَ الذينَ أوتوا الكِتابَ ويَزدادَ الذين آمَنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلا كذَلِكَ يُضلُّ اللَّه مَن يَشاء ويَهدي مَن يَشاء (المدَّثِّر 31)

قالَ السَّائِل: أذهَبتَ عَنِّي هَمِّي أيُّها العالِم وأجليتَ حُزني وقوّيتَ أزري ووجَب شُكرُكَ عندي.

قالَ العالِم: إنَّما عُلِّمنا لِنُعَلِّم وأوتينا الفهم لنفّهم وظَهَرَ الرَبُّ فينا لنُعَظِّمَهُ ولا توفيقَ إلاّ باللَّه.

قالَ السَّائِل: أخبرني عَن أقسامِ الأرضِ وعَن أقسامِ السّماء وأقسامِ الجوهَر، وأقسامِ الانفراد وأقسام الاجتِماع وأقسامِ الأسماء التي تَجمع الأسماء التي تَنفَرِد وأقسامِ النجوم وأقسامِ الغيوم وأقسامِ العَرش وأقسامِ الكُرسي وأقسامِ البِحَار وأقسامِ الأعراض

وأقسامِ النتائِج وأقسامِ ما يكذّب وأقسامِ ما لا يكذّب وأقسام ما يُصَدَّق وما لا يُصَدَّق وأقسامِ ما يُعرَف وأقسامِ ما لا يُعرَف وأقسامِ الأسماءِ الجامِعَة والأسماء المتَفَرِّقَة وأسماءِ الكُلِّ وتَفريق الكُل واجتِماع الكُل ومِن أينَ جاءت ومِن أينَ ذَهَبت وأقسامِ الموت وأقسامِ الحياة وأقسامِ البِلاد وأسمائها، ولِمَ وُضِعَت الأسماءُ ولِما نُفيَت ؟

وما الضدُّ في الأسماء وما الضدُّ في الجوهَر ؟ وما الضدُّ في العَرض ؟ وما المُشاكَلَة ؟ وما المُجانَسَة ؟ وما المُبايَنَة ؟ وما ضدُّ الكُل ؟ وما ضدُّ البَعض ؟ وأينَ مكان الدنيا ؟ وأينَ مكانُ الآخِرَة ؟

وأينَ مكانُ الجَنَّة ؟ وأينَ مكانُ النَّار ؟ ومِن أينَ دَخَلَ مكانُ الشبهَة ؟ ومِن أينَ جاءَ اليَقين ؟ ومِن أينَ عُرِفَ الحَق ؟ ومِن أينَ عُرِفَ الباطِل ؟ وكيفَ السَّلام ؟

قالَ العالِم: إذا أخبَرتُكَ أيُّها السَّائِل بتِلكَ الجواهِر على أربَعَةِ أقسام: جوهَر بهيئَة لا بصورَة ولا بهيئَة وجوهَر بصورَة وبهيئَة فذَلِكَ جوهران بسيطان وجوهران مُتراكِبان جوهَر بصورَة وهيئَة وجوهَر بهيئَة لا بصورَة.

فأمَّا الجوهَرُ البَسيط الذي بصورَة وبهيئَة فهوَ اللَّه هيئَتة القدم

والجَلالِ والعز وصورتهُ الصّورَة التي تَفعَل التي بنى أرواحَ الملائِكَة عليها وعليها صوَّرَ الملائِكَة والآدَميين وهُم أرواحٌ بِلا أبدان بصوَر لا هيئَة لأنَّ القِدَم عَنهُم باقي.

وجوهران صورَة بهيئَة واحِدَة وهوَ البَدَن بَدَنُ كُلِّ شيء وهيَ الصّورَة بهيئَة والذي بهيئَة لا بصورَة مثلُ السّماء والأرض والجِبال والبِحار والفلك والغيم وما أشبَه ذَلِك فذَلِكَ الجوهَر الذي بِهيئَة لا بصورة.

فأمَّا أقسامُ الأرض فأرواح أربَع خَلف وقدَّام ويمين وشمال وكذَلِكَ أبنيَةُ الجوهَرينَ من المتركبين بأربَعَةِ أجزاء ومِن أربَعِ طِباع فذَلِكَ حَدُّ الجوهَر وأمَّا حَدُّ الأعراض الأربَعَة: الحَدُّ الخاص فالحيَاة في كُلِّ حَي والجنس في بَعضِ الحي فهَذان عَرضان مُنفَرِدان وعَرضان جنسان كالألوان والماء والزّيادَة والنقصان في الجوهرين المُتَراكبين لا في الجوهَرين البسيطين فهَذهِ الأعراضُ الأربَعَة وأقسامُ الأرض على الطّبائِع الأربَع فتِلكَ غير ناميَة ولا زائِلَة ولا صاعِدَة ولا يَمين ولا شِمال والمثَلُ في ذَلِك إنَّ الشيء تراه إذا رميتَ بهِ فيها يمنَة ويسرة (تخعي) والسَّماء مُرَكَّبَة عليها والقائِم يقومُ بِما تَحتَهُ مِنَ التَراكيب تراها ولا تَرى صورتها، وأقسام حرّها وبردها وارتفاعها واستقلالها واتّساعها وأقسامها

وهيئَة الأرض في رُؤيتها وهيئَة السّماء في رؤيتها وذَلِكَ إنَّا نرى السّماءَ تُشبِهُ بَعضَها بَعضاً ونرى الأرض تُشبِهُ بَعضَها بَعضاً وما كانَ بعضهُ لا يُشبِهُ البَعضُ مِنه وهوَ الصّورَة [8] والصّورَة صورتان والهيئَة صورَة على العينين واليَدين والرِجلين وما أشبه ذَلِك والهيئَة هيئَتان فصورَةُ الجوهَرِ البَسيط يُشبِهُ بَعضَهُ بَعضَاً في الجنس ورؤيتها تَفترقهُ في الصّورَة. والصّورَة المُرَكَّبَة تفتَرِقهُ في الجوهَر وتَفتَرقهُ في الجنس كذَلِكَ جوهَرُ الماء وجوهَرُ الضوء وجوهَرُ الأشياء بقيَت لا شيء.

يُقال: جوهَر في الجواهِر البَسيطَة وذواتُ الهيئاتِ والصوَر بالإقرارِ لَها لا يَقَعُ فيها التَضادد وذواتُ الهيئات وذواتُ الصوَر مِنَ الجواهِر المُتَراكِبَة لِها أضداد ولِها أمثال.

بِها أشكال لَها أوزان وتَفترقهُ في الجنس وكذَلكَ الأعراض يُشبِهُ العَرض نَفسهُ ويُشبِهُ غيرهُ وليسَ العَرض كالجوهَرِ البَسيط لأنَّ الجوهَر البَسيط والعَرض لا يَقومُ بنَفسهِ لأنَّ الجوهَرَ البَسيط يَقومُ بنَفسهِ والعَرض لا يَقومُ بنفسهِ والجوهَرُ المُرَكَّب لَهُ هيئَة لا صورَة له، لَهُ أفاعيل على الهيئَة لا أفاعيل على الصّورَة كالغيمِ والماء والقطر والبِحار والنجوم والشّمس والقَمَر هيئتها تَحريك إلى الحَرِّ

والبرودَة والتَربيع والتَدوير فهَذهِ الهيئَة الفاعِلَة نِسبَة إلى الفعل كما نسبة الجوهَر المُتَرَكِّب إلى الجوهَر البَسيط فقال: طلعَت الشَّمس وغَرَبَت وسارَت ويُقالُ هذا حَرُّ الشَمس وهذا ضوءُ الشَمس ويُقالُ للقَمَر مثل ذَلِك إذا طلعَ وغربَ وسارَ وكذَلِكَ النجوم والغيمُ والمَطَر يُقالُ جاءَ الغيم وجاءَ المَطَر وجاءَ الليل وجاءَ النّهار وذهبَ وجاءَ الإنسان وذَهَب ولا يُقال جاءت الأرض وذهَبَت ولا جاءت السّماء ويُقال جَرى الماء ووقَفَ الماء ويُقال هَبَّ الرّيح وسكَن فهَذهِ جواهرها وهيَ ذوات هيئات فعالات.

وكذَلِكَ الميّت لَهُ صورَة وكذَلِكَ الأمواتُ مِن كُلِّ ذي صورَة لا يُقالُ جاءت ولا ذَهَبَت فهوَ الجوهَر المُتَراكِب لا يُشبهُ الجوهَر البَسيط في الأفاعيل وأمَّا الجوهَران البسيطان كُل ذو صورَة فهُما فاعِلان والأعراضُ تُشبِهُ الجواهِر البَسيطَة التي بهيئاتٍ لا فِعلَ لَها.

والجواهِر التي لَها هَيئات لا صورَة تُشبِهُ الجواهِر البَسيطَة لأنَّ الجواهِرَ البَسيطَة الفاعِلَة لَها اختيارٌ وإرادَة وكثرة الجواهِر للفعل وقسمة الجواهِر وفَضلٌ ما بينَ الجوهَرِ الخاص والعام أفضَلُ فعل بينَ الجواهِر الخاص والعام بِكُلِّ شيء وكِتابُ اللَّه قَبلَ كُلِّ شيء وهوَ مَع كُلِّ شيء.

ولا يُقالُ كُلُّ شيءٍ مَعَ اللَّه فهَذا حَدُّ الجوهَرِ القَديم والحَديث أن

يُقال اللَّه مَع كُلِّ شيء ولا يُقالُ كُلُّ شيءٍ مَعَ اللَّه فحَدُّ الجوهَرِ القَديم والحَديث وهوَ جوهَرُ الدُنيا والآخِرَة.

فأمَّا جوهَرُ الدُنيا فإنَّهُ العبوديَّة وجوهَرُ الآخِرَة الجَزاء والعَذاب والذَبح والحَرق بالنَّار وجوهَر النَّار البَسيط ذو فعلٍ وهيئَة وذو صورَة [9] وهوَ كذَلِك جوهَرُ الماء وجوهَرُ الضوءِ والنّور - وصوَر الأضداد لها يَقَعُ فيها التَضادد وذواتُ الأضداد وذواتُ الصوَر مِنَ الجوهَرِ المُتَرَكِّب لها أمثال ولها أضداد - وهوَ جواهِر الأشياء شيءٌ بهيئَتهِ لا شيء ينقي الأضداد في الجوهَرِ البَسيط وذوات الميمات وصورَة الأضداد لها إيقاع فيها نضارَة ذوات الأشياء والأضداد وذات الصوَر مِنَ الجواهِر المُرَكَّبَة لها مثل ولها أشكال ولها أوزان ولها جوانِب والأعراض لا تَلزَم الجوهَر المُحدَث البسيط إلاَّ مِن جِهَتين، جِهَةٌ مِمَّا يلزَمُ الجوهَر البَسيط الصورَة لا الهيئَة والهيئة والصّورَة حدث والصّورَة الإلهيَّة والهيئة طبع حدث والصّورَة تكونُ ولا تَكون والطَبعُ لا يَكون والجوهَر البَسيط المحدث على جِهَتين جِهَةُ صورَة وجِهَةُ غير صورَة وجِهَةُ موت وجِهَةُ غير موت وجِهَةُ حياة وجِهَةُ غير حياة لأنَّ الجوهَرَ البَسيط ذو الهيئة والصّورَة مِنَ الأرواح والحيوان الجوهَر البسيط

الذي لَهُ ضد ولا صورَة فيه وفيهِ هيئة الضياء ضد الظلام والليل ضد النّهار والشَمس والقَمَر أشكالٌ بهيئتين بسيطتين والجوهَر في الضياء لا في الكون بل في جِهَةِ جوهَرٍ مُرَكَّب، والنَّارُ جوهَرٌ بسيط لهُ ضِدٌّ وهيئة وليسَ لَهُ صورَة والنَّارُ ضِدُّ الماء والماءُ ضِدُّ النَّار وضِدُّ الأعراض المرّ والحلو والقيام والقعود والمَرَض والصَحَّة والموتُ والحياة والطّولُ والقِصَر والبياض والسّواد فجُملَةُ ذَلِك ما خالَفَ غيرهُ فهوَ ضِد وما وافَقَ غيرَهُ على الجِهات فهوَ ضِدُّ الأضداد في كُلِّ شيءٍ مِمَّا لَهُ هيئة الأضداد في كُلِّ شيءٍ مِنَ الجواهِر المُتراكِب الأضداد في كُلِّ شيءٍ مِنَ الجوهَرِ البَسط إلاَّ ما لَهُ صورَة والحيوانات لا أضدادَ فيها بَل فيها أشكال وفيها المُخالِف والإنسان شَكلُ كُلِّ إنسان والدابَّة شَكلُ كُلِّ دابَّة خِلافُ كُلِّ إنسان والبَغلُ شَكلُ كُلِّ بَغل خِلافَ كُلِّ دابَّة وكذَلِكَ الدواب مُتَّفِق في أجناسِها وأشكالِها وتَختَلِفُ في خواصها وأنواعها وصوَرها فوجَبَ لِكُلِّ شيء خاصيتهُ.

فخاصيَّةُ الحياة البَقاء وخاصيَّةُ الموت الفَناء وخاصيَّةُ الخالِق القدم وخاصيَّةُ المَخلوق الحدث وخاصيَّةُ النَّار الإحراق وخاصيَّةُ الثَلج التَبريد وخاصيَّةُ اللَّهو القاتِل المؤذي وخاصيَّةُ الرّيحِ الناريَّة وخاصيَّةُ الحَجَر الدافِع بهِ وخاصيَّةُ الماء الجَريان

وخاصيَّةُ النبات الزِراعَة وخاصيَّةُ كُلِّ شيء ما لا يُشركهُ فيهِ شيءٌ آخَر إلاَّ ما كانَ مِن جِنسهِ عاميَّةُ كُلِّ شيء والجوهَر خاصيَّةُ كُلِّ شيء مِن شيء وُجِدَ لأنَّ ما فيهِ دونَ غيرهِ وخاصيَّةُ العَقلِ الصواب وخاصيَّةُ الجَهلِ التَهافُت وخاصيَّةُ النظر الإدراك للحدودِ والأدوات والهيئات والصوَر وخاصيَّةُ السَمَع التَمييزِ بينَ الأصوات وخاصيَّةُ النطقِ العِبارَة والفَهم وخاصيَّةُ الرئاسَة للقَديم عِلمهُ وقدرتهُ وروحهُ وكَلِمتَهُ لأنَّ الرئاسَة الخاصيَّة على كُلِّ ما يكونُ مِنَ الجِنس ونَعتُ الجنس بحيث الرئاسَة العاميَّة للخالقِ على كُلِّ شيء يُقالُ لَها رئاسَةُ القَهر رئاسَةُ المَخلوقين على أجناسهم الرئاسَة في الجوهَرين البِسيطين اللّذين لَهُما الجوهَر والجوهَرُ البَسيط ذو الهيئة لا رئاسَة لَهُ والأضدادُ لا رئاسَة لَها والحيوان لا رئاسَة لَهُ إلاَّ الإنسان فإنَّ لَهُ رئاسَة على الحيوانات كُلِّها وذَلِكَ أنَّ رئاستهُ كانَت ذاتيَّة لأنَّ صورة نفسهِ صورة القَديم فوجَبَت رئاستهُ لهَذا المَعنى الموهوب على الرئاسَة يُقال أنَّ الإنسانَ رئيسٌ على جِنسهِ وليسَ على الدواب ولا يُقالُ للدابَّة رئيسة الدواب ولا يُقالُ للنَّارِ رَئيسة النيران ولا يُقالُ للماء رئيسة المياه ولا يُقالُ للشَمسِ رئيسة الشموس وإنَّما يُقالُ ذَلِك في ثلاثَةِ أنواع في القَديم والملائكَة والآدَميين ولا يُقالُ في غيرِ ذَلِكَ رئاسَة

لأنَّ الرئاسَة نسبَة منفيَّة عَن غيرها إلاَّ في الثَلاثَةِ أنواع والرئاسَة موهوبَــة للإنســان أن يُقــالُ للإنســانِ قــوي، الإنســانُ شَــديد، الإنسانُ غَنِـي، الإنسانُ عالِم، الإنسانُ مُتَحَرِّك، الإنسانُ مُميِّز الأشياء فهَذهِ الأسماء موهوبات مِن أسماءِ اللَّـه ـ عَزَّ وجَل ـ والرئاسَة موهوبَة للآدَميين والمَلائِكة وليسَت موهوبَة إلاَّ لهَذين الخَلقين والملكيَّة موهوبَة لَها.

يُقالُ مَلِك ويُقالُ مالِك أسماءٌ موهوبَة.

قالَ السَّائِل: أيُّها العالِم بَقيَ عليَ شيء أسالُ عَنـهُ حَتَّـى سَمِعتُ هَذا.

قالَ العالِم: كذَلِكَ النتائِجُ تَنتُج ما لا يَعلَمُ السَّائِل.

قالَ السَّائِل: فما اسمُ هَذهِ النتائِج في المَلائِكَة وبني آدَم ؟

ثُمَّ قالَ السَّائِل: أيُّها العالِم لمَ وهَبَ اللَّـه هَذهِ الأسماءُ الكَريمَـة والرئاسَة العَظيمَة حَتَّـى يَسموا بِها فيعطوا بَعضَ مِلكها.

قالَ العالِم: لأنَّ اللَّـه ـ عَزَّ وجَل ـ ظَهَرَ في المَلائِكَة حَتَّى ظَنَّت المَلائِكَة أنَّهُ مِنها فقالَت الملائِكَة تَعالوا نطلُب رَبَّنا فنعبدهُ ونَميلُ إليهِ بطاعَتِنا.

فلَمَّا قالَت تَعالوا حَتَّى نَطلُب رَبَّنا فقالَ لَها إنِّي أنا هوَ هو فلَم تَقُل لا لا ولا نَعَم نَعَم حَتَّى أظهَرَ قدرَتَهُ وعِلمَهُ وسُلطانَهُ وكبرياءهُ

فمَن بادَرَ مِنَ المَلائِكَة ولَم يَقِف على القول جَعَلهُ الرّئيسُ على الملائِكَة وهُم هؤلاء الأربَعَة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مَلِك الموت. ثُمَّ إنَّ اللَّه أظهَرَ آياتهِ وعِلمَهُ للمَلائِكَة فعَرَفَت أنَّهُ رَبَّها بإظهارِ العِلمِ والقدرَة فصارَت لَها الرَئاسَة بأمرهِ ونَهيهِ فَتِلكَ الصّورَة مَعروفَة عِندَ الملائِكَة يُقالُ لَها صورَةُ الرئاسَة ويُقالُ لَها صورَةُ القَهر ثُمَّ أنَّهُ ظَهَرَ في الآدَميين بصورَة تُشبِهَهُم وكذَلِكَ ظَهَرَ لآدَم والأرواح ولده بصورَة فظنّوا أنَّهُ مِنهُم فقالوا تَعالوا نَطلُب رَبَّنا فنعبدهُ فطلبوا فقالَ لَهُم إنَّما أنا هو هو فأجابَ مِنَ الآدَميين سَبعَة فلِذَلِكَ جَعَلَهُم اللَّه الرؤساء وجَعَلَ الوِلادَة مِنهُم ثُمَّ أظهَرَ آياتهِ وعِلمهُ لوَلدِ آدَم فعرَفوهُ ثُمَّ أخَذَ عليهِم الميثاق فواثَقَهُم كَذَلِك.

قالَ الكِتابُ المُحَمَّدي قولهُ تَعالى: وإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِن بَني آدَم مِن ظهورِهِم ذُرّيَتهم وأشهَدَهُم على أنفُسِهِم ألَستُ بِرَبِّكُم قالوا بلى شهدنا (الأعراف 172)

حينَ رَأوا الآيات والعِلمَ الذي وَعَدَهُم إنَّهُ يَظهَرُ لَهُم بِها ويَحتَجُّ عليهِم بِها ويَشهَدوا وأن يَقولوا يوم القيامَة إنَّا كُنَّا عَن هَذا غافلين عَن ظهورِ صورَةِ الربِّ القَديم فيهِم بصورَتِهِم وأظهَرَ آياتَهُ فيهِم وعِلمهُ وأخَذَ عليهِم الميثاق يُريدُ بِذَلِك أنَّهُ يجيءُ

إليهِم بالصّورَة الإنسانيَّة الكامِلَة يطّلَبِ مِنهُم الإيمان.
قالوا فبِما عَلامَةُ ذَلِك قالَ: إظهارُ قُدرَتي وعلمي اللذين ظَهَرتُ بهُما في يومي هَذا فلَمَّا أسكَنَهُم في الأبدان وجَعَلَ لَهُم القوَّة وبَعَثَ إليهِم الأنبياء ودَعاهُم وأظهَرَ لَهُم الآيات والعلم فقَبِلَ العُلَماءُ، والجُهَلاءُ تَحَيَّروا والشاكّون وَقَفوا والكافرون كَفَروا فقالَ العُلَماء قَد أتَتنا آيَةٌ مِن آياتِ رَبِّنا وجاءَ الأنبياء وظَهَرَت قُدرَتُهُ وعِلمهُ لنا فكانَ العُلَماء يَنتَظِرونَ ذَلِكَ بالوِلادَة والمولود والذَكَر والعلامة وكانوا يُثبِتونَ ذَلِك أنَّهُ سَيكون ويَظهَرُ الرَّب ويَتَجَلَّى كَهيئَة المولود مِنَ البِكرِ البَتول . التي أحصَنَت فَرجَها فنَفَخنا فيهِ مِن روحِنا وصَدَّقَت بِكَلِماتِ رَبِّها وكُتبهِ وكانَت مِنَ القانتين . (التحريم 12) بمَعرِفَتهِ فاحتَجَبَ بالوِلادَة المَريَميَّة ولَم تَعلم العُلَماء أنَّهُ الرّوح حَتَّى أظهَرَ القدرَة والعلوم اللاهوتيَّة وأنَّهُ روحُ اللَّه وكَلَّمَهُم في المَهدِ فَعُرِفَ بالقدرَة وجلا الظُلمَة وذَهَبَ بالشُبهَة وأظهَرَ المُنتَظرينَ لَهُ وأظهَرَ القيامَة فعَرَفَ مَن عَرَفَ بذَلِك.
فلِذَلِكَ جَعلَ في وَلَدِ آدَم الرئاسَة وهُم أرواحٌ لظهورِ اللَّه فيهِم فشَبَّهَهُم على الصّورَة وجَعَلَ الرئاسَةَ في الأبدان لَمَّا أظهَرَ لَهُم روحَهُ في الوِلادَة فصارَت فيهِم الرئاسَة ووهَبَ هَذهِ الأسماءُ لَها وللملائِكَة للمَعنى الذي وصفت بهِ.

فقالَ السَّائِل: عُد إلى تَفسيرِ ما سَألتُكَ عَنهُ.

قالَ العالِم: قَد فرغنا مِنَ الأعراض والجواهِر والأنواع وأنواعِ الجواهِر وأعراضِ الجواهِر وفصول الجواهِر وخاصُّ الجواهِر وعامّيها وخاص العرض وعامهُ ومِن حيثُ يَتَّفِق ويَختَلِف وما يَتَّفِقُ فيه وما لا يَتَّفِقُ فيه وما يضاددها وما لا يُضاددها والضدُّ والخِلاف والشَكل والمَقام والمُنافي ونفي الأسماء وجوهَريتها وجَمعَها وتَفريقها.

قالَ السَّائِل: يَرحَمُكَ اللَّه فأنتَ أحفَظُ لمسألَتي مِنِّي وأعرَفُ بموضِع بغيتي منِّي وإنِّي أرجو مِن رَبِّي أن يَرزقني مِن ذَلِك ما أستَفيدُ مِن مَعرفتهِ فيما تذكرهُ.

قالَ العالِم: إنَّما جوهَرُ الكَلامِ الإرادَة والتَقطيع فالإرادَة تكونُ مِنَ النَفس والتقطيعُ يكونُ مِنَ اللسان المُعَبَّر لما ألفتهُ بتفاخرية النَفس وجوهَرُ ذَلِك وخاصيتهُ كلّها إذا قطَعتهُ اللَّهاة وأجرى على اللسان وألفتهُ النَفس فهوَ الكَلام.

قالَ السَّائِل: فما جوهرهُ ؟

قالَ العالِم: عباراتُ الإرادَة وهوَ جوهَرُ الكلام.

قالَ السَّائِل: فما جوهَرُ السكون ؟

قالَ العالِم: صَمتُ الإرادَة والرؤيَة فيها وإهمالُ ما رؤيَ.

قالَ السَّائِل: فما جوهَرُ الأسماء ؟

قالَ العالِم: ما لِم يَستَغنى الشيء عَنهُ كقولكَ أبيَض وأسوَد فذَلِكَ جوهَرها وجوهَرُ الأسماء الإضافة فيه وهيَ الأسماءُ الأصليَّة والأسماءُ المُعَلَّقَة.

مثل قولكَ للأبيَض بياضاً وللأصفَر صُفرَةً.

قالَ السَّائِل: فما جوهَرُ الأسماءِ المُعَلَّقَة ؟

قالَ العالِم: كُلَّما دَخَلَ فيهِ لهُ مِنَ الأعراض فهوَ جوهَرُ الأسماء المُعَلَّقَة وكُلَّما دَخَل فهوَ كقولكَ أبيَض وهوَ أسوَد هوَ جوهرهُ واسمهُ هو هو اسمهُ المُضافُ إليه ولا مُعَلَّق عَليه.

قالَ السَّائِل: اشرَحهُ لي.

قالَ العالِم: كقولكَ الثوب أبيَض أبيَض والإنسانُ إنسان والسَّماءُ سَماء وكذَلِكَ الأحمَر والأسوَد وكذَلِكَ كُلُّ شيءٍ يوصَف.

يقولُ لَكَ القائل: ما إسمُ الإنسانِ في الإنسانيَّة فتقولُ هَذا الإنسان.

ويقولُ لكَ: ما اسم الثوب في بياضهِ فتقول ثوبٌ أبيَض.

وإذا قالَ لَكَ: ما اسم البياض فتقولُ بياض وكذلك في كُلِّ نوعٍ مِن هَذا في خاصتهِ فهو هو وقَد يُقالُ لَهُ اسم وهوَ المَعنى وقَد يُقالُ المَعنى هوَ المَعنى وهوَ خاصيَّةُ الشيء وهوَ الأسماءُ

المُتَعَلِّقَة كقولكَ مُحَمَّد وعَبدُ اللَّه وما أشبَهُ ذَلِك مِنَ الأسماءِ المُتَعَلِّقَة مِمَّا يَصلُحُ أن يُبَدِّلَها ويَجعَل مكانها غيرها أسماءُ الإضافة تقول: عاقَبت ورَحَمت ووَهَبت.

وقولُ القائِل ثواب وعِقاب ورَحمَة وعقوبَة وقولٌ وسكوت فهذهِ الأسماء أسماءُ الأفاعيل يُسَمَّى بِها الفاعِل فاسمُها هي هي لأنَّها ليسَت الفَعَّالَة بَل هيَ المَفعولَة والأفاعيل الأسماءُ المُجتَمِعَة وهيَ الشيء أسماء النداء هيَ الإضافَة لأسماءِ الدَلالَة وأسماء الفعل قولٌ وسكوت وأمَّا أسماءُ الاجتماع أن يُقال الإنسان أنَّهُ مِن أربعِ طَبائِع وبدنهُ مِن طَبيعَةٍ واحِدَة ذو جِهَة فلذَلِكَ أنَّ كُلَّ بَدَنٍ تَسَمَّى بهَذهِ الطَبائِع الأربع فهوَ اسمُ الجامِع تَقولُ بَدَن وتَقولُ سَماء وتَقولُ أرض وتَقول مَعدَن وتقول حَجَر وتَقولُ شَمس فهذهِ الأسماءُ التي تُجمَع يُقالُ فهوَ اسمٌ يُقالُ لَها رئيسةُ النَتيجَة الجَامِعَة فهوَ اسمُ الذي يُجمَع يُقال رئاسَة المُنتجَة الجامِعَة فهيَ طبائِعُ كُلِّ جِنسٍ واسمٍ ونوعٍ.

قالَ السَّائِل: وما النَتيجَة ؟

قالَ العالِم: فأمَّا االنتيجَة الجامِعَة فهيَ الكُلُّ قَبلَ كُلِّ شيءٍ لَهُ حركة وسكون فتِلكَ الوَصلَة في الكُل وليسَت الوَصلَة بَعدَ الكُل في كُلِّ جِنسٍ وحواسهِ تقول كُلُّ شيءٍ فيهِ صادِقَة في كُلِّ

الحواس الأولى في كُلِّ نوعِ بالحاسيَّة الثانيَة وفي الكُلِّ صادِقَة تعرف في الكُل مِنَ الكُل مِنَ النوعِ ومِنَ الحَرَكَة الأولى تصدّق في الكُل ويُكَذِّب الحاسيَّة الأولى في الجنس لكَذِب ما لا يَكونُ شيء لَهُ جِنس فقَد كَذَب واللَّه ليسَ لَهُ جِنسٌ ولا واسِطَة بتَصديقِ بعض الأشياء لها جنس الحاسيَّة والأخير يُكَذِّب لا شيء لَهُ جنسٌ يُصَدِّق الواسِطَة ويُكَذِّب الحاستين والوصلَة الحاسيَّة يُصَدِّق الحاسيَّة الأولى فكُلُّ شيءٍ لَهُ خاصيَّة وهَذا كَذِب والواسِطَة الكذب والحاسيَّة التي لا كَذِب يُقالُ لَها السَّالِبَة.

ثُمَّ قالَ العالِم للسَّائِل: لا تكون عارِفاً بِهَذا حَتَّى تَعرف العارِف مِنَ المختارِ للعَرضِ والجوهَر البَسيط المُرَكَّب والعَرض المُفارِق هيئة العَرض المُكتَسَب إضافة الجوهَر البَسيط الذي لا يَقبَل العَرض هوَ اللَّه والجوهَر البَسيط هوَ الذي يَقبَل العَرض وهوَ الإنسانُ والمَلائِكَة.

العَرضُ الخاص هوَ النوعِ وخاصَّةُ الشيء العَرض الهيئة الألوان الطول والقصر.

ثُمَّ قالَ العالِم للسَّائِل: إذا عَرَفتَ خمسة أشياء فقَد عرَفتَ أصولَ الجوهَر والجوهَريَّة والعَرض والمُعتَرِض.

قالَ السَّائِل: فما الجوهَرُ المُرَكَّب ؟

قالَ العالِم: العَرض هوَ الجوهَر المُرَكَّب.

قالَ السَّائِل: فما صِفة الجوهَر المُتَرَكِّب ؟

قالَ العالِم: فالقابِل للعَرض هو الجوهَر المُرَكَّب والجوهَر الذي لا يَنتَقِل للعَرضِ والجسم ذو الصَّورَة والهيئة افهَم أيُّها السَّائِل مِمَّا لَكَ ومِمَّا عَليك وفيكَ إنسانيتك هيَ فيه وفي بَدَنِك وهيَ لكَ إنسانيَّة وعليكَ مُدبَّرَة برئاستِها وأمَّا ما عَليك ولكَ وليسَ فيك كالأبوَّة يُقالُ أبوكَ لَكَ أبٌ وليسَ فيكَ مثل نفسك وأمَّا ما فيك ولَك وليسَ عليك فخا صيتك بنطقك وفيك وصمتك بقولِك وليسَ عَليك وأمَّا هوَ لَكَ في الإضافة ولغيرَك وليسَ فيك ولا فوق مِنك ومِن غيرك مثل قولك فَعَلت وتَحَرَّكت وصُمتُ وصَلّيت.

فأمَّا مثلُ نفسِكَ في الجوهَر البسيط وأمَّا مثل بدنك فالجوهَر المُتَراكِب.

وأمَّا خاصتُك بمثل العَرض اللازِم وأمَّا فعلكَ كالعَرض المُفارِق كما بينتُ لكَ عقبهُ فهوَ يُفارِقُ كُلَّ خاصيَّة غير مُفارِق الخاصيَّة لا يَذهَب بِها الحياة والموت مثل قولك إنسان فهوَ إنسان حَيٌّ وميِّت وكَذَلِكَ في كُلِّ شيءٍ حالَة جوهَريَّة لا اختِلافَ بخاصيَّة والعَرض يُذهِب الاختِلافَ بهِ فحَدُّ الجوهَر كلّهُ الذي لا يُذهِب الاختِلاف.

قالَ السَّائِل: أزَلتَ عَنِّي الشَك وعَرَّفتَني جُملَةَ أشياءٍ أعرِفُ بِها الرَّب فأخبرني عَن قدرتِهِ وكلامِهِ وإرادتِهِ.

قالَ العالِم: إذا كانَ قَضاءُ اللَّه حَقّاً فليسَ الباطِلُ مِن قَضائهِ وأنَّ قضاءهُ بإرادتِهِ فالباطِلُ غير إرادته وقضائه لكراهتِهِ للباطِل فمن أدخل ذَلِك عليه يَقدِر أن لا يَكرَه فقَد اختارَ أن يَكرَه المَعصيَةَ وإن قُلتَ إن أرادها مِن غيرِهِ فقَد أرادها.

قال السائل: كيف ذلك ؟

قالَ العالم: أبيِّنُ لك ذلك إنَّ اللَّه خالِقُ كُلَّ شيء وفي مُلكهِ كُل شيء وهوَ لا يأبى عِلمَ كُلِّ شيء ولا يأبى ما لا يَكون وكُلُّ شيءٍ في مُلكهِ يَعلمهُ.

قال السائل: إنِّي ذكَرتُ مَسائِلَ ثلاثَة ظاهِرَة نَقولُ في المَسيح وكُلُّ شَخصٍ خَفي ظَهَرَ بعلمٍ وقدرَة كظهورهِ، ودعى إلى الوحدانيَّة كانَ مُختاراً ومُضطرَّاً حيناً ولم يُقتَل فإن قُلتَ أيها العالم أنَّهُ مُضطَر فقَد قُلتَ أنَّهُ مَقتول وإن قُلتَ أنَّهُ كان مُختاراً فقاتِلهُ مَعذور.

قالَ العالِم: الحَقُّ الحقيقي أنَّهُ مُضطَر لا بموضِع أنَّهُ مَخلوق مَغلوب ولَكِن أوجَبَ على نَفسهِ الاضطِرار.

قالَ السَّائِل: فلهُ إذَن ثوابُ الاضطِرار وإن لَم يَكُن مُضطَرَّاً ألَم

يثبت بهِ.

قـالَ العـالِمِ: أرأيتـك إن قُلـتَ لا مُضـطَرّاً ولا مُختـاراً ولا هـوَ مَنزِلَـة ثالِثَة.

قالَ السَّائِل: هذا ما لا يُعقَل.

قـالَ العـالِمِ: لا يَعقلُهـا مَـن جَهَلَهـا ويَعقلهـا مَـن يَعلَمُهـا وليـسَ للجاهِلِ حجَّة وقَد تَبيَّنَ لَهُ مِنَ اللَّه دلائِل الرُشد.

قالَ السَّائِل: فما هذهِ الحجَّة التي لا اضطرار ولا اختيار

قالَ العالِمِ: امتِحانٌ وتَشبيهٌ ومَكر يوري أنَّـهُ تَمَكَّنَ العَدو وإرادتـهُ مِنـهُ وذَلِـكَ شـيءٌ لا يكـون ولا يَجـوزُ أن يَكـون وإنَّمـا فَعَلَ ذَلِـك لِيَنظُر أيطيعون أم يَعصون فمَن عَمَلَ خيراً يَرَهُ ومَن عَمَلَ شَرّاً يَرَهُ وليسَ رَبكَ بظَلاَّمٍ للنَّاس بَلِ النَّاسُ لأنفُسهِم يَظلمون.

قالَ السَّائِل: المَسيحُ الذي هوَ الحَقُّ الحَقيقي وهوَ صاحِب العلـمِ والقدرَة لَمْ يَعلَم أنَّـهُم يُطيعون أمْ يَعصون حَتَّى يَمتَحِنَهُمْ.

قالَ العالِمِ: إنَّ المَسيحَ لـو فَعَلَ ذَلِكَ لِنَفسـهِ وكـانَ غَنيّاً عَن ذَلِـك وهوَ الغَني عَن الثوابِ والعِقاب لنَفسـهِ لأنَّـهُ لا يَحتـاج إليـه ولـو عَذَّبَهُم على ذَلِك مِن قَبلِ أن يَختـاروه أو يَفعَلوهُ كـانَ ظالِمـاً لَهُمْ لأنَّهُم لَمْ يَفعَلـوا شيئاً بالاختيـار وإنَّمـا أخبَرَهُم اللَّـه ـ عَزَّ وجَل ـ ليَعلَموا أنَّـهُم قَد فَعَلوا أوجَبَ اللَّه بهِ الحُجَّة عليهِم، وإنَّمـا المختـار

في الخلق للمخلوق، وليس المختار في الخالق للخلق.

قالَ السَّائِل: فمَن هؤلاء ؟

قالَ العالِم: هُم اليَهود حيثُ فَعَلوا ما أرادوا في المَسيح عِند تشبهِهِ لَهُمْ مِن قَتلهِ وصَلبهِ.

قالَ السَّائِل: فإن كانَ اليَهود فَعَلوا ما أرادَ المَسيح مِن قَتلهِ فقَد أطاعوهُ في الظَاهِر وإن كانوا فَعَلو خِلافَ ما أرادَ فقَد قَهَروه.

قالَ العالِم: إنَّ المَسيح لَمَّا أرادَ أن يَكون ما شبه مِن قَتلهِ وصَلبهِ في الظَاهِر حُجَّة على اليهود ليكونَ تَشبيهُ قَتلهِ إيماناً لليَهود وأرادَ أن يقربوا قَتلَهُ قُرباً إلى اللَّه فقَد خالَفَت إرادتهُم إرادَةُ المسيح ولَم تَتَّفِق الإرادَتان فتكونُ طاعَة، وإنَّما تَكونُ الطَاعَة طاعَة إذا وافَقَت الإرادَة وكذَلِكَ سئل صاحِب هَذهِ المَسألَة فقال: أليسَ قَد أرادَ اللَّه موتَ الأنبياء وقَد أرادَ الأبالِسَة والشياطين والكُفَّارُ أيضاً موتَ الأنبياء فقَد وافَقَت إرادتُهُم إرادَةُ اللَّه إنَّهُمْ في ذَلِكَ مُطيعين.

فإن كانوا مُطيعين فيكون الأنبياءُ غير مُطيعين.

قال السائل: فما الجواب بذلك ؟

قال العالم: لا يَجوزُ أن يَعرفوا المَسيح مِثل ما قُلتُ لَك ولَكِن أقولُ إنَّ اللَّه أرادَ موتَ الأنبياء ليكمُلَ لَهُمْ الثواب وليُشرِكَ فيهِ

غيرهُم الذين يُصَدِقونَهُمْ وأرادَ الأبالسة والشَّياطين والكفار قتلهم ليندرس الحَق فاختَلَفَت الإرادتان.

قال السائل: هَذا خاص للعُلَماء في مجالسِ الجَبابِرَة فما الحجَّة بمجالِس العامَّة ؟

قالَ العالِم: إذا قالوا من يَكون مَن أراد ما أرادَ المَسيح فقَد أطاعَ أو عَصيَ ؟

قيلَ لَهُ أنَّ الطاعَة والمَعصيَّة ليسَت في الإرادَة وإنَّما الطاعَة والمَعصيَّة في الأمرِ والنَهي لأنَّهُ قَد أبى ما أرادَ اللَّه وما كَرِه ومَن لَمْ يَكُن مُطيعاً ولا عاصياً فَهُمْ الأطفال والمَجانين فلو كانَ مَن فَعَلَ ما أرادَ اللَّه مُطيعاً أو عاصياً كانَ الأطفالُ أو المَجانين مُطيعين أو عاصين فالطَّاعَةُ لا تَوجِبُ الإرادَة وإنَّما تَوجِبُ للأمرِ والنَهي والمَسيحُ لَمْ يأمرهُم بقَتلهِ ونَهاهُم عَن ذَلِك ولَمَّا حَقَّقوا ذَلِك وعَزَموا عَليه وظَنُّوا عليهِ أنفسهم واجتَمَعوا على ذَلِك حَجَبَ أبصارَهُمْ عَنهُ وشَبَّهَ لَهُمْ ذَلِكَ الفعل وليسَ عليهِم بالعلم والقدرَة والبيان والمَشيئَة ونَزَّهَ اللَّه المَسيح وروحهُ وكَلمتهُ عَن كُلِّ ذَلِك وعادَ إلى النورانيَّة والأزليَّة الإلهيَّة والجَلالِ والجَبروتيَّة فلِذَلِكَ أطاعوا وعَصوا وقَد نَهاهُم اللَّه عَن قَتلهِ وصَلبهِ الذينَ ظَنُّوا أنَّهُمْ قد وَصَلوا إليه ولَمَّا أرادَ العالِم والسَّائِل الافتراق.

قالَ السَّائِل للعالِم: أوصني وصيَّة تنفعني.

قالَ العالِم: أوَّلُ ما أوصيكَ بـهِ وأفهِمُكَ عَنـهُ وأعَرِّفُكَ إيَّاه مَعرِفَـةُ اللَّه التي لا عوَضَ عنها ولا يُرادُ غيرها ولا يُطلَبُ إلاَّ هـيَ قَديمَـةٌ أزليَّـة وحدانيَّـة صَمدانيَّة شَعشَعانيَّة نورانيَّـة حَيَّـة ناطِقَـة عالِمَـة ليسَت بجاهِلَة مُريدَة غيرُ أبيَة.

للَّـه ذات جِهَـةٍ واحِدَة مِن حَيثُ ما أثبتها فهيَ هي إذا ظَهَرَت بالعلمِ والقدرَة فلا يرهبنَّكَ شَكٌّ شاك ولا ذو ملق مُتَضَرِّع ولا هفوة مُتَعَبِّد لا يَرغَبُ في دينٍ يدلُّكَ على غيرِ السَبيل وعلى غيرِ الطَريق يُزيلُكَ عَن سَبيلِ الفَهم قَد أكثَرَ مِمَّا لو قَلَّ منهُ كانَ خيراً لَـهُ ما يهيم ويكبر ويَخلط بالتَوَهُّمِ والتَقَحُّم مِنَ العلم ولَم يَعلَم سَبيل الشكر فما لو أقَلُّ مِنهُ كانَ خيراً مِمَّا أكثَر يَروي مِن غيرِ الحَق يَتَخَبَّطُ في العلم ولا يَعلَمُ الصَحيحَ مِنَ الفاسِد، لَمْ يَتَّصِل لـهُ فيها أصلُ الحِكمَة ولَمْ يَعرِف فيها موضِعَ الفِطنَة قَد أعزى بالصومِ والصَلاة فلا يغُرَنَّكَ صلاتُهُ ولا صيامهُ حَتَّى تَعرِف ما عَزيمَةُ عَقلِه، لا يَعرِفُ اللَّه حَقَّ مَعرِفَتـهِ ولا يأتي اللَّـه مِن أبوابـهِ فبدنهُ مَشغولٌ وقَلبُهِ فارِغٌ مِنَ المَعرِفَة مبتول يَظنُّ أنَّ في ذَلِك نجاتهُ وبهِ يكونُ هلاكهُ جَهَلَ ما تَرَكَّبَ في قَلبهِ لا يَدفَعُ عَنهُ شَكٌّ بيَقين ولا يَتَفَكَّرُ في حَقٍّ بَعدَ حين همته في يدهِ حَقَّاً كانَ أو

باطِلاً يَتَخَبَّطُ في العشوات رافِع الخطوات عَن بيانِ الحَق يَزهَدُ في الحِكمَة ويَرغَبُ في الجَهل إن سَمِعَ الحكمَة هَزِيء وإن سَمِعَ حَقّاً لا يَفهَم ولا بعلمهِ يَتَلَهَّب قَد أشغَلتهُ الرئاسَة وفرق رئاستهُ إن يَسأل عَمَّا يَعلَم ويَقولُ أنَّهُ يَعلَمُ أكثَرَ كلامهُ بالظَن قَد رَفَعَ إليهِ كِتاباً يَقرأهُ ولا يَعرِفُ ما فيه باطِلاً جَمَعَ أو حَقّاً فَرقُ البيانِ عِندَهُ شبهَة لا بَدَّ في الذكرِ والمَساجِد والبيوتِ التي يُذكَرُ فيها اسمُ اللَّه ليسَ لَهُ همَّة إلاَّ ادِخارٌ لعَميِّ القَلب وترك فَهم العقول وقَد صارَت لَهُ رئاسَةٌ يمنعُ مِن جَهلهِ يَقتُلُ بِها الأولياء ويُكَذِّبُ بِها على الأنبياء فإن قالَ اتّبعوهُ وإن سَكَتَ أجابوه فاحذَر ذَلِك بكتمانِ عِلمك إلاَّ عَن أهلِ البَصائِر والحياء وتَركِ شِدَّة المراء بمِثلِ ذَلك يَقرَأُ عَليك كتُب الأنبياء لا يَعلَمُ تَأويلَها يأخُذُكَ فيها بشهوتهِ ويُفَسِّرَها لكَ على مَحَبَتهِ فأحَذِّرُكَ تَحذيرَ مَن أشفَقَ عليك إشفاقَ الوالِد على الوَلَد فإنَّ عِلمَ الحقيقَة لا يَقبلهُ إلاَّ القلوب الراضيَة والعقول الكامِلَة وصدوراً واسِعَة وإنَّ موسى كَلَّمَهُ اللَّه فظَنَّ في نَفسهِ أنَّهُ قَد احتوى على العلم ولم يعييه شيءٌ من الفهم فأعجَبتهُ نَفسهُ فأرادَ اللَّه أن يُخبرهُ ويوريه مِنَ العِلمِ عِلماً لا يُطيقهُ ومِنَ الفَهمِ فَهماً لا يُدركهُ فأرسَلَ إليهِ عالِماً بَعدَ أن أوكل إليه أمره واختبره، فنظَرَ إليهِ موسى وإلى ثلاثٍ مِن آياتهِ فأنكَرَ

عليهِ ذَلِك وكانَ قد حَكَمَ بِحُكمِ اللَّه.

قالَ لـه موسـى هل أتَّبعُكَ علـى أن تُعَلِّمنِ مِمَّا عُلِّمتَ رُشداً قالَ إنَّكَ لَن تَستَطيعَ مَعي صَبراً وكيفَ تَصبِر على ما لَم تُحِط بهِ خُبْراً (الكهف 66. 67. 68)

فركِبَا في السَفينَة فخرَقَها العالِمُ فوثَبَ عليهِ موسى.

وقال: تُريدُ أن تُغرِقَنا ؟

قـالَ العـالِم: أريـدُ أن أسلِمَكُم إنَّ هـا هُنـا مَلِكٌ يأخذُ كُلَّ سَفينَة غَصباً فأرَدتُ أن يراها مَكسورَة فيتركها.

قال ألَم أقُل لَكَ إنَّكَ لَن تَستَطيعَ مَعي صَبراً قالَ لا تؤاخذني بِما نَسيت ولا تُرهقني مِن أمري عُسرًا فانطَلَقا حَتَّى إذا لقيا غُلاماً فقتَلَهُ قالَ أقَتَلتَ نَفساً زكيَّةً بغيرِ نفسٍ لَقَد جِئتَ شيئاً نُكْراً قالَ ألَم أقُل لَكَ إنَّكَ لن تَستَطيعَ مَعي صَبراً (الكهف 72 . 75)

قالَ لَـهُ حيـاء واستعطافاً لمـا أجابَـهُ العالِم: قـال إن سَألتُكَ عَن شيءٍ بَعدَها فلا تُصاحبني قَد بَلَغتُ مِن لدُنِّي عُذراً فانطَلَقا حَتَّى إذا أتيا أهلَ قَريَةٍ استَطعَما أهلَهَا فأبوا أن يُضَيِّفُوهُما (الكهف 76 . 77)

فقالَ موسى هَذا عالِمٌ يَطلبُ الصَدَقَة وهوَ يَقدِر أن تَكونَ الجِبالُ ذَهَباً وإنَّ أهلَ القَريَة لا يَقبَلونَ مِنهُ ولا يُعطونَـهُ فوجدَ فيها جِداراً

يُريدُ أن ينقض فأقامهُ قالَ لو شِئتَ لاتخَذتَ عليهِ أجراً (الكهف 77)

قالَ العالِم: ألَم أقُل لَكَ إنَّكَ لن تَستَطِيع مَعي صَبراً وكيفَ تَصبِر على ما لَمْ تُحِط بهِ خُبْراً ففارَقَهُ وأخبَرَهُ بعِلمِ ذَلِك فلَمَّا ناجاهُ اللَّه.

قالَ يا موسى مَن العالِم الذي كانَ مَعَك ؟

قالَ: هوَ الخضر.

قالَ: وما حاجته إلى الصَدَقَة وهوَ يَقدِر أن لا يأكُل ولا يَشرَب وهوَ روحانيٌّ بالتَهليلِ والتَسبيح.

قالَ موسى: لا عِلمَ لي إلهي.

قالَ: يا موسى أنا هوَ فلا يعظمَنَّ عليكَ ذَلِك ولا يَهولَنَّكَ ما رَأيت ولا يَشتَبِه عَليكَ ذَلِك فإنَّهُ ملكي أصنَعُ فيهِ ما أشاء .

كذا قالَ بَعضُ العُلَماء أنَّ المَسيحَ قال: إذا جئتكُم عَرياناً فأكسوني وإذا جِئتكُم جوعاناً فأشبعوني أي إذا تَصوَّرتُ لَكُم بهَذهِ الصِفات والصورَة فلا تَأبوا إنِّي رَبُّكُم فإنِّي قَد تَصوَّرتُ فيها كيفَ شِئت في صورَةِ الفُقَراء وفي صورَةِ الأغنياء وصورة المولود وفي صورة الأعِزاء وفي صورَةِ الرِجال وكُلُّ ذَلِكَ آياتٌ وظهورات وكذَلِكَ أتيتُ إبراهيم فظَنَّ أنّي جائِعٌ وأنا خَلَقتُ الجوع وأتيتُ لوطاً فظَنَّ أنّي عاجِزٌ وأنا خَلَقتُ العَجز.

يا موسى إنِّي أطلبُ الصَدقَة وأنا خَلَقتُ الصَدَقَة.

فلا يُرهِبَنَّكَ أيُّها السَّائِل الذُل إذا رَأيتَهُ والفَقرُ إذا رَأيتَهُ ظَهَرَ مِن مولاك ولا تَعتبنَّ في نَفسِكَ على رَبِّك ولا تَقُل ما لا يَنبَغي لَك أن يَكُون فهَذهِ لطائِفُ الصُنع وعَجائِب الأمر وأنهاكَ أيُّها السَّائِل عَن غَلَبَةِ الهوى وتَكذيبِ الأنبياء مِن حيثُ ما أتوك فلا تَنظُرَنَّ إلى اختِلافِ شرائِعِهِم ولا إلى قولِ قائِلِهِم ولَكِن انظُر إلى الآياتِ والدَلالات والقُدَر التي لا تَكونُ إلاَّ للرَّب فأينَ ما وَجَدتَها فصَدِّق صاحِبَها ولا يَكنْ عِندَكَ أكبَرُ مِنَ القدرَة فإنَّ الكَلامَ لَهُ تَصريف والقدرَة لا تَصريفَ لَها والكَلامُ يُقَدِّمُ ويؤَخِّر ويُمثل والقدرَة لا تُقَدِّم ولا تُؤخِّر ولا تمثل كقولِ الرَبِّ لنَفسهِ أنا عَبدٌ ويُظهِر الموت فذَلِكَ حَقٌّ على ما صَرَّفَهُ الرَّب.

فإذا قالَ أنا عَبدٌ فقَد صَدَقَ الرَّب على أنَّهُ عَبدٌ في الرؤيَة عِندَكُم ويَستَقيم أن يَقول أنا عَبدُكُم ويَستَقيمُ أن يَقول أنا أظهَرتُ نَفسي عَبداً كذَلِكَ تَصريفُ الكَلامِ والقدرَة لا تَتَصَرَّف وقَد يَقولُ الرَبُّ أيُّ شيءٍ يَقول وكيفَ صار وكيفَ قال يُريدُ أن يَقولَ للرُسُل كيفَ عَلِمتُم وكيفَ أجابوا وكيفَ أطاعوا وكيفَ عَصوا هذا تَصريفُ الكَلام والقدرَة لا تَصريفَ لَها وكذا قولُ اللَّه للمَلائِكَة أينَ ذَهَبتُم ومِن أينَ جِئتُم وعِندَ مَن كُنتُم وكيفَ قيلَ لَكُمْ وكيفَ آمنوا بي

وكيفَ كَفَروا بي وكذا يَقولُ للرُسُل وهوَ أعلَمُ بذَلِكَ مِنهُم فلو ظَهَرَ كَذَلِكَ عِندَ الجُهَلاء ظَنُّوا أنَّـهُ جاهِل وكذَلِكَ قولُ داؤود لَمَّا رَأى الحِجابَ في هيئَـةِ النَّـائِم وقَد رأى القُضاةَ يَقضون ويَتَجَبَّرون ويُغَيّرونَ الحَق فقالَ يا ربّ انتَبِه وهوَ يَعلَمُ أنَّهُ ليسَ نائِماً وكذَلِكَ يرى الحِجاب ما لا يَرى عَليهِ الإنسان وأحَذِّرُكَ أن تَكفُرَ باللَّـه مِن حيثُ لا تَعلَم وتُكَذِّبَ قُدرَتَهُ مِن حيثُ أتَت فأجِبها واقصُد إليها ولا تكون عليكَ حِجَّةٌ في تَعطيلِها وتَكذيبِها والشَكُّ فيها والوقوفُ دونَها.

واعلَم أيُّها السَّائِل أنَّ الزَمانَ كُلُّهُ للرَّب كما ظَهَرَ في أوَّلِ الخَلق كذَلِكَ يَظهَرُ في آخِرِهِم وكذَلِكَ في وسَطِهِم فلا تكذبن ظهورهُ ولا تكذبن الأوقات ولا تُحيّزها فكما عَدَلَ على أوَّلِ خَلقِهِ كذا يَعدلُ على آخرِهِم وفي أوسَطِهِم وكما عَدَلَ في المَلائِكَة كذَلِكَ يَعدلُ على الآدَميين واتَّقِ المسوخيَّة فإنَّ أصلَها مِنَ التكذيب ولا تَظلِمنَّ أحَداً فإنَّ الأشياءَ تدالُ بَعضها مِن بَعضٍ إلاَّ الصورَة المسوخيَّة فإنَّها لا تُدالُ مِنَ المؤمِن وتُدال مِنَ الكافِر.

وأدِّ الأمانَةَ إلى مَن ائتَمَنك ولا تَعبُد اللَّـه خوفاً فتُشرِكُ بهِ مِن حيثُ لا تَعلَم لأنَّكَ تكون تَخافُ مِن غيرِه ولا تَعلمن لهُ طَمَعاً فإنَّ الطَمَعَ لغيرِهِ ولَكِن اعمَل عَمَلاً حُبَّاً باللَّـه وشوقاً.

ووصيتي لك إيَّاكَ أن تَميلَ إلى أهلِ الجَدَل فإنَّ لِسانهُ حلو مِن طَبعه يُزهِدُكَ في مَعرِفَةِ اللَّه ويَدلُّكَ على الشرك ويَدلُّكَ على مَعقولِهِ ويُخرِجُكَ مِن سُنَنِ الأوصياء وشرائِعِ الأنبياء.

فإذا رأيتَ رَجُلاً يدلُّكَ على فهمِ العقولِ وبيانِ القلوب وسُنَنِ الأنبياء وآثارِ الأوصياء ومُحل الأتقياء، يوافِقُ قولُهُ فِعلهُ فذَلِكَ أبٌ شَفوقٌ وأخٌ رَفيقٌ وعالِمٌ مُصيبٌ.

ووصيَّتي إيَّاكَ أن يَكونَ إيمانُك إلاَّ بقَلبِك وفي نَفسِك فإنَّ الإيمانَ في القلوب والتَصديق والإقرار في اللسان لأنَّ الإيمانَ في قَلبِك إن نِمتَ أو قَعَدت أو سَهوت أو غِبت أو حَضَرتَ شَرائِعَ.

والأعمال بالجوارِح تَبعاً للإيمان ليسَ هيَ إيمان الخالِص وذَلِكَ أنَّ الشَرائِعَ تَختَلِف وتَكونُ إيماناً وكُفراً، والتَصديقُ لا اختِلاف فيه والشَرائِعُ إيمانُ الأبدان والتَصديق إيمانُ القلوب.

ووصيَّتي إيَّاكَ أن لا تَمشي في اليَهوديَّة فإنَّ ليسَ فيها للَّه خالِص ولا للَّه فيها بُغيَة ولا للَّه فيها نَجيب.

ووصيَّتي: إيَّاكَ أن تَميلَ إلى الدَهريَّة وإلى قولِ الثنويَّة فإنَّ ذَلِكَ أفضَلُ مِنَ الصَدَقَة وأفضَلُ مِنَ العَمَل وأفضَلُ مِنَ الجِهاد فإنَّ الجِهادَ عَن النّاس والصَدَقَة للنَّاس وهَذا جِهادٌ للرَبِّ وتَصديقٌ للحَق وتَكذيبٌ لأهلِ الباطِل وحبٌّ في ذاتِ اللَّه.

ومَن زَعَمَ أنَّ اللَّـه لا يَظهَر فـي حجُبـهِ ولا يَتَصوَّرُ فيهِم، وسوفَ أرشِدُكَ إلى ثَلاثِ مَسائِل.

أمَّا أهلُ الدَهرِ فَيُسألون فيُقالُ لَهُم هَل كانَ بشـيءٍ لَمْ يَكُن أو لَمْ يَـزَل يكُـن فـإن قـالوا كـانَ شـيئاً لَـمْ يَكُـن فقَـد غلبـوا لأنَّ النشـوءَ والوِلادَة يَدلُّ علـى أنَّـهُ كـانَ بَعدَ إذ لَـمْ يَكُـن وكـذَلِكَ الأوَّل دَلَّ علـى الآخِر.

ومَسألَة أخرى على أهلِ الثَنويَّة يُقالُ لَهُما ضدان أو شَكلان فإن كانَا شَكلان فهُما واحِد وإن كانَا ضدان فهُما مُتَباينان لَبَطُلَ المُلك وفسَدَت الحكمَة وعَصى أحدهُما على الأخَر.

ومَسـألَة أخـرى علـى الـذينَ يزعَمـونَ أنَّ اللَّـه لا يَظهَـر فـي خَلقـهِ يُقالُ لَهُم أظَهَرَ اللَّه في بَعضِ خَلقهِ ؟

فـإن قـالوا لا ولا فـي كُـلِّ خَلقـهِ فهـوَ مَجهـول وإن كـانَ ظَهَـرَ فـي بَعضِ خَلقهِ فما يُؤمِنُ أن يظهَرَ في كُلِّ خَلقـهِ ليعرفـوه بـأيِّ خلقَـة أو هيئَة شاء.

ثُمَّ قالَ العالِم: أوصيكَ أيُّها السَّائِل وأبيِّنُ لَكَ سَبعاً تُثبِت وسَبعاً تَنفـي وسَبعاً تَسلَك وسَبعاً توقِـف تعلـم بـذَلِكَ كُـلَّ كَـلام يَـرِدُ إليـك تميزهُ مِثلَ ذَلِك الـهيولى التي زَعَمَت الفَلاسِفَة أنَّـها النَتيجَـة الكُبرى التي يَخرجُ مِنها حَقّاً وباطِلاً وشَكّاً.

قالَ السَّائِل: كُلُّ شيءٍ لَهُ نَبأ وهَذا نَبأ كُلِّ شيء.

قالَ العالِم: أمَّا الحَرف الذي يثبت فهوَ بإزائي وفي تَحت وفوق ورأيتهُ حيَّاً وميتاً فهَذهِ الأحرُف هيَ أحرُف الإثبات وأمَّا حَرفُ النَفي أن يُقال الشيء لا في شيء ولا خارِج مِن شيء ولا داخِل في شيء ولا مُباين ولا مُمازِج ولا بحيث ولا بكيف فهذهِ ضد الأولى والأولى ضد الثانيَّة أو السَبع التي تسلُك فهيَ قولُ القائِل لعلك وأظنه وأتوهمُه وأنَّهُ يُشبه ويَنفي وكأنَّهُ ما أرى فهذهِ حروفُ الشَكِّ باليَقين وبالنَفي والإثبات.

وأمَّا حروفُ الوَقف: فهيَ أظنّهُ ولا أظنّهُ كذا سَبقَ إلى قَلبي أكثر وَهمي كذا هوَ في سَمعي رأيتُ لهُ شبهاً، رأيتُ لَهُ نصيراً رأيتُ لَها مَثَلاً.

ثُمَّ قالَ العالِم: أيُّها السَّائِل فلا يغرنَّكَ خطبَةٌ قائِمَة أو كَلامٌ مؤلَّف اختَلَطَ بهِ الشَك باليَقين والنَفي والإثبات حَتَّى جَعَلَ كلاماً مَنسوباً مُعرَباً مَفهوماً يَجهَلُ في شَكِّهِ ويَميلُ إليهِ الجاهِل ويتحَيِّر فيهِ الضَعيف ويَحذَر مِنهُ الغَرَق.

ثُمَّ قالَ العالِم: أيُّها السَّائِل قَد ثَبَتَ عَليكَ الحفظ وأوجَبتَ على نَفسِكَ الشكر وثَبَتَ لَكَ الهُدى خُذها مِن صادقٍ فَهيم عاقِل عَرَفَ الرَّب في الدهورِ والأزمِنَة وإنَّ العِلمَ في العالم يحتج بهِ على

أرواحِهِم وتَتطهَّرُ بـهِ أبدانُهُم فـأظهَرَ صـورَةَ الأبنيـة فأقبلت تسأل عَمَّا يَكون..

قالَ صاحِب الكِتاب كانَ ترجمتهُ باليوناني وتَفسيرهُ بالعَرَبي.

إنَّ اللَّـه تَعالى أمَرَ إدريـس أن يَسـمَع مِـن شـيث بـن آدَم فكـان إدريس السَّائِل وشيث المُجيب.

---

[1] ـ وفي نسخة: الذي ظَهَرَ بحجُبِهِ الذاتيَّة الَّذي جَعَلَهُمْ المعاني، وأيَّدَهُمْ بحجَّجِهِ وجَعَلَهُمْ أئمتَه وفوَّضَ إليهم ما شاء واصطفاهُمْ وجَعَلَهُمْ السُفَراءَ بينَهُ وبينَ عِبادِهِ.

[2]
. وفي نسخة: وما يحثُّها وما يتفقها في حيث وأين وكيف وما، وأصـولُ هَذهِ الأسـماء وبِـأيِّ شــيءٍ ومـا اشـتِقاقُها إذْ لا تعرف...

[3]
. وفي نسخة: الترك

[4]
. وفي نسخة: البغدادي

[5]
. وفي نسخة: يُغالِبونـي

[6]
. وفي نسخة: تجذبني

[7]
. وفي نسخة: يثبتون

[8]
. وفي نسخة: فما كانَ بعضـهَ يُشبِهُ بَعضَاً فهوَ هيئَة الصورة

[9]
. وفي نسخة: وليسَ هوَ ذو صورَة